روايات عبير الجديدة

آن ماثر

بعيدًا جدًا عنك

www.elromancia.com

مرمورية

بعيدة جداً عنك!

آن ماثر

منذ صغرهما، كانت صوفي صديقة لروبرت، شقيقها بالتبني، وللأسف اصر والداهما على ابعادهما ووجدا ان ارتباطهما مستحيل.

وهكذا شجعا الشاب على الزواج من فتاة اخرى، وارتاحا لرحيل صوفي الى اليونان.

هل ستتمكن المسافات من التغلب على عواطفهما؟ من ينتصر، الحب أم العقل؟.

- ١ -

بدأت صوفي تجد الوقت طويلاً في هذا القطار المزدحم، وكانت تقف في الممر لأنها لم تستطع ان تحجز مكاناً قبل الانطلاق، إلا انها كانت سعيدة جداً بالعودة الى المنزل لدرجة انها لم تعد تهتم براحتها حالياً، ومع ان رجلين عرضا عليها مكانهما بأدب إلا انها رفضت بابتسامة خفيفة، حتى وهي ترتدي تنورة المدرسة المكسرة وقميصها الازرق، كانت تشعر انها اصبحت امرأة مثيرة، ونظرات الرجال تشعرها بالراحة.

وحاول شابان جنديان ان يثرثرا معها، لكن صوفي كانت فرحة جداً بلقائها مع روبرت ولا ترغب بقطع احلامها كي تثرثر معهما، كم اشتاقت اليه خلال هذه الثمانية عشرة شهراً من الفراق! لم تنس ابداً كيف ضمها

بين ذراعيه وقبلها آخر مرة. . . واخيراً سيلتقيان، طالما ان روبرت يقضي اجازته في المنزل.

لقد علمت بذلك من رسالة والدها الاخيرة، سيمون سيكون هناك ايضاً، لكن صوفي كانت دائماً تفضل الشقيق الاكبر روبرت جذاب جداً! وهي تشعر بالراحة معه، كان دائماً يظهر لها محبة واهتمام، ولقد علمها ركوب الخيل ولعب التنس والسباحة، وفي سن مبكرة، كلمها عن المساواة وكشف لها عن بعض آماله ومشاريعه المستقبلية، شجعها على المطالعة وحب الموسيقى والشعر، كان هناك اشياء كثيرة تقرب بينهما.

تذكرت وهي تتأمل المناظر الممتدة امامها من نافذة القطار، لقاءها الاول معه، ولم تكن صوفي تعرف والدتها التي توفيت وهي تلدها. ووالدها كان مشغولاً دائماً بمهنته كطبيب، واستخدم عدة مربيات لرعايتها، فقرر مغادرة لندن لينتقل للعيش في بلدة صغيرة في شمال كوونتث، وكانت السيدة لورا ايدريس تدير وحدها فندق كوونتث منذ وفاة زوجها بعد تعرض لحادث سيارة قبل ثلاثة اعوام.

وكان لديها ولدان سيمون وروبرت في الثانية عشر والسادسة عشرة من عمرهما.

ويتابعان علومهما في مدرسة هيرفورد في البلدة المجاورة، تردد الدكتور كمبل والد صوفي على زيارتها، واعلان زواجهما لم يفاجيء احداً.

كانت صوفي عندها في الرابعة من عمرها فقط، وتعلقت كثيراً بوالدتها الجديدة التي كانت لطيفة ومحبة

واستطاعت ان تكسب قلب الفتاة الصغيرة.

ولم يشكل الصبيان اية مشكلة، وعلى كل حال، كان عمل والدتهما قد اصبح متعباً جداً، ففرحا بايجاد فرح وهدوء منزل عائلي جديد، وأحبا الدكتور كمبل كثيراً وتأقلما بسرعة مع الاخت الصغية ودللاها كأميرة صغيرة.

اعجبت صوفي على الفور بهذا الاخ الكبير بالتبني، كان شعبياً جداً بين اصدقائه ويقوم بنشاطات عديدة، لكنه كان يمنح صوفي كثيراً من وقته لدرجة ان بعض صديقاته كن يغضبن لأنهن يجدن امامهن منافسة صغيرة.

بعد عامين، ترك رحيله للجامعة فراغاً كبيراً في المنزل.

ولم تعد صوفي تراه إلا في الاجازات، بعد انهاء علومه، عاد للمنطقة وعمل في شركة صيانة في هيرفورد. وعندما اصبحت في الثانية عشرة من عمرها، اصبحت تشعر بانقباض في قلبها كلما تركها وخرج مع إحدى صديقاته.

وجن جنونها عندما قرر والدها ارسالها الى مدرسة داخلية لمتابعة علومها، ان فكرة عدم رؤيتها لروبرت كانت تخيفها.

ماذا لو تزوج في غيابها؟ لكن والديها لم يهتما بتوسلاتها، حتى روبرت رفض ان يكون سنداً لها، فرحلت، وقضت الفصل الاول بكآبة كبيرة، ولكن شيئاً فشيئاً اعتادت على حياتها الجديدة، وقررت ان تنجح كي تعود الى كوونتث باقرب وقت ممكن.

خلال هذا الوقت، تابع روبرت نجاحه في مهنته، ثم

عرضوا عليه العمل في فرع للشركة في لندن، وهكذا انتقل للسكن في العاصمة، ثم وقع عقداً للعمل في افريقيا الوسطى.

حزنت صوفي كثيراً، وكانت تقضي اجازاتها وحيدة كئيبة، حتى انها كانت ترفض الخروج مع سيمون واصدقائه، قلق والداها كثيراً عليها، لكنها اخفت عنهما سبب همومها.

نجحت صوفي في دراستها، وهنأها روبرت في عيد ميلادها الخامس عشر، وفي هذا العيد العائلي قبّلها... وكان والدها قد اقام هذه الحفلة كي يسعدها، لكنه لم يكن يعلم ان وجود روبرت وحده كان كافياً لأسعادها، وقد دعا والدها صديقين له مع عائلتيهما، وكان بين الاولاد فتاة في السادسة عشرة من عمرها واربعة اولاد صغار، وشاب في الثامنة عشرة من عمره، لكنه لا يقارن باخويها، وقد اصبح سيمون شقيقها بالتبني الاصغير مدرساً في مدرسة كوونتث.

احست صوفي بالكره الشديد نحو ايما الجميلة الانيقة لأنها كانت لا تبعد نظرها عن روبرت.

وفي عيد رأس السنة، دعا آل كمبل بعض الاصدقاء للاحتفال معهم بالعيد، ولهذه المناسبة، ارتدت صوفي اول ثوب طويل تلقته هدية من والديها، ووضعت بعض الماكياج على وجهها، وعندما خرجت من غرفتها، ابدى روبرت اعجاباً كبيراً بها، فدق قلبها بسرعة، ولكنه عاد فجأة للنظر اليها كالأخ الاكبر، واطرى على جمالها ونصحها ان تحذر من محاولات الشبان لاغرائها، ثم انضم

الى ايما التي تبدو انها تثيره اكثر.

عدة مرات خلال السهرة، لاحظت انه ينظر اليها، لكنه لم يدعها ابداً للرقص معه، ولكي تخفي خيبتها، قضت معظم الوقت مع سيمون لدرجة انها اثارت غيظ فيكي باج ابنة احد التجار في البلدة، بعد قليل لاحظت صوفي اختفاء روبرت، فبحثت بنظراتها فوراً عن ايما، وشعرت براحة كبيرة عندما رأتها ترقص مع هارولد فينابل، اقتربت السيدة لورا منها وقالت.

«سيمون، كن لطيفاً وراقص فيكي، ألا تراها تشعر بالملل، وانت صوفي، ابحثي عن روبرت، لا بد انه في مكتب والده».

اسرعت صوفي الى غرفة المكتب، فوجدته جالساً على الكنبة يقرأ مجلة اقتصادية.

«والدتك تسأل عنك» قالت له صوفي.

«لا ارغب بالعودة الى الصالون» اجابها دون ان ينظر اليها.

فدخلت واغلقت الباب خلفها.

«اذهبي صوفي وتسلي، انا مرتاح هنا، على كل حال سأنام باكراً لأنني يجب ان اعود الى لندن غداً باكراً».

«انك فظ جداً، احياناً روبرت! تعزل نفسك وكأن رفقتنا لا تعجبك! لماذا تلعب دور الرجال المتعالين؟».

وامام ابتسامته الساخرة، اضافت غاضبة «حتى انك لم تدعني للرقص!».

«لم يكن ينقصك رفيق من سنك، كما وان سيمون كان

سعيداً بمرافقتك!».

غضبت صوفي اكثر وسحبت المجلة من يده كي تجبره على النهوض، لكنه امسك يدها وضمها واجلسها على ركبتيه وقبلها بحرارة، ارتبكت صوفي بهذه القبلة الحارة الغير متنظرة، وعندما تركها نهضت وهي ترتعش وقد شحب لونها، بينما اعتذر منها آسفاً، لكنها كانت متأكدة ان الامور لن تعود نفسها بينهما بعد هذه القبلة...

ولم تر روبرت قبل رحيله، لأنها عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، كان قد رحل مع ايما، وفي نهاية الاسبوع، اتصل هاتفياً بوالدته واخبرها بانه مسافر برحلة طويلة الى الشرق الاقصى، فعادت صوفي الى المدرسة منهارة وكئيبة لاقصى درجة.

الآن وبعد ثمانية عشرة شهراً، نضجت صوفي اكثر، ولا بد ان روبرت ابتعد ليترك لها فرصة للبلوغ قبل الارتباط بها، وها قد نجحت الآن في البكالوريا ولديها فترة طويلة لتقرر اذا كانت ستتابع علومها الجامعية ام لا. قد تحصل امور كثيرة في هذه الفترة...

واخيراً توقف القطار في محطة هيرفورد، فتأملت حقائبها وخافت ان لا تجد حمالاً في المحطة.

«ايمكنني مساعدتك؟» اقترح عليها احد الجنديين الذين كانا الى جانبها.

«أوه، لا اريد ازعاجك».

«هذا لا يزعجني، فانا سأنزل في هذه المحطة، اينتظرك احد؟».

«اتمنى ذلك!».

ونزلت من القطار بسرعة، وهي تحمل حقيبتها بينما حمل الشاب صندوق كتبها الثقيل.

«صباح الخير صوفي، كم انا سعيد برؤيتك من جديد».

رفعت صوفي عيونها واحمر وجهها وبدأت ترتجف رغماً عنها، انه لم يتغير، مع انه نحف قليلاً... وتبدو عيونه اكثر قسوة... وقد لوحت شمس الشرق بشرته، ان قوة شخصيته تسحرها دائماً. ولكن... لماذا يبدو غاضباً؟ ابسبب هذا الجندي؟ هزت صوفي كتفيها، واصرت على اظهار فرحتها، فرمت حقيبتها على الارض، ورمت نفسها على عنقه وقبلت فمه، تفاجأ روبرت بحركتها هذه، وامسك يديها كي يستعيد توازنه، ثم وبعد لحظات دفعها عنه بحزم.

«صوفي!» اعترض غاضباً «صوفي حباً بالسماء!» ومرر يده في شعره بانزعاج وهو ينظر حوله بقلق. لكن الفتاة لم تشعر بالخجل ولا بالندم، فرغم منظره الغاضب، بادلها روبرت قبلتها الخاطفة، اذاً هو لا يزال يهتم بها... اطمأنت لهذه الفكرة وابتسمت له بمرح.

امام هذا المشهد، وضع الجندي صندوقها على الارض وانسحب بسرعة.

«اهذه هي كل حقائبك؟» سألها روبرت بسرعة.

«نعم... الست سعيداً برؤيتي؟».

«ولكن بلى، لقد سبق ان قلت لك ذلك» اجابها بعصبية ثم حمل الصندوق.

«كم انا سعيدة بالعودة الى المنزل اخيراً».

«شدي حزام الامان» نصحها روبرت عندما صعدت الى سيارته.

«يا لها من سيارة جميلة، روبرت!» قالت وهي تنظر اليه خلسة «احب ان اتعلم القيادة!».

«سيعلمك والدك بدون شك، خاصة وانك وانتهيت من المدرسة، الآن... بالمناسبة، اهنئك على نجاحك الباهر!».

«شكراً» اجابته بسخرية.

«ما بك؟» سألها وهو يرفع حاجبيه بدهشة «يجب ان تكوني سعيدة بالدخول الى جامعة اوكسفورد».

«لا اريد ان اسمع كلاماً عن الدراسة!» ثم ابتسمت ونظرت اليه «كيف حالك، روبرت؟ متى عدت الى المنزل؟ كم ستبقى هذه المرة؟».

«عدت الى انكلترا منذ شهرين، واعمل الآن في شمال بلاد الغال في بناء جسر للسكة الحديدة لتأمين الخط حتى جزيرة سيمتريت».

«حقاً؟ رائع! هكذا ستزورنا في نهاية كل اسبوع».

لم يجبها روبرت، فنظرت اليه بطرف عينها، لماذا هو بارد وبعيد؟ تشعر بانه يخفي شيئاً...

«الجميع بخير روبي؟ ابي وامي وسيمون؟ لقد تلقيت منه رسالة في الاسبوع الماضي، لماذا لم تكتب لي ابداً، انت؟».

تجاهل روبي سؤالها الاخير، وقال «والدينا بخير، اما

سيمون فيبدو راضياً بقضاء ما بقي في حياته في كوونتث».

«ولما لا؟ طالما انه سعيد، انه يحب الاستقرار خلافاً عنك!».

«حقاً؟ اهكذا تحكمين علي؟».

«لا يمكنك ان تدعي العكس، وإلا لماذا رحلت عن هيرفورد؟».

«كان من الغباء ان ارفض هذا العمل وفرصة السفر، انت ايضاً سترغبين باكتشاف العالم، سترين».

«لا!».

«ما الذي يؤكد لك ذلك؟».

«انا لست... مغرمة بالسفر» اكدت له بعد تردد قصير «املك روح سيدة المنزل، بالتأكيد، اذا تزوجت رجلاً مضطراً للعمل في الخارج...».

«صوفي، انا...» ولم ينهي كلامه لأن الرعد قصف فجأة بشكل مخيف.

«الا تزالي تخافين من العواصف؟» سألها بهدوء «لا تقلقي، انت بأمان في السيارة».

«اعلم، اعذرني» وحاولت تمالك خوفها «ماذا كنت تقول؟» فنظر اليها قليلاً ثم هز رأسه.

«من هو ذلك الجندي، في المحطة؟» سألها محاولاً ان يغير الموضوع.

- ٢ -

«انا لا اعرفه، التقيت به في القطار، وعرض علي المساعدة في حمل حقائبي».

بدأ المطر ينهمر بغزارة، ولمع البرق وقصف الرعد بشدة، فأخذت صوفي ترتجف من الخوف، بعد قليل اوقف روبرت السيارة الى جانب الطريق.

«لن يمكننا المتابعة، انا لا ارى شيئاً امامي، لن يستمر المطر طويلاً، اهدأي».

«انا حمقاء، اعلم ذلك، ولكنني لا استطيع ان اتعقل» ثم فكت حزام الأمان والتفتت نحوه، وقاومت رغبتها في مداعبة وجهه.

«على الأقل، هذا يسمح لنا بالكلام قليلاً...».

اشعل روبرت سيجارة وتأملها قليلاً ركز نظره على المطر

المتساقط على زجاج السيارة الامامي، فأخفضت صوفي نظرها، ولاحظت ان ازرار قميصها مفتوحة، فأسرعت لترتب ملابسها، لكن أصابعها المرتجفة لم تطعها، لماذا تشعر بالارتباك؟ ماذا حصل؟ لماذا اصبح روبرت غريباً عنها فجأة؟.

لاحظ روبرت توترها، فأبعد يديها عن صدرها وزرر قميصها بنفسه، ولكن الرعد اختار هذه اللحظة لينفجر بقوة هزت السماء والأرض، فأخذت صوفي ترتجف وأوشكت على البكاء، فأطلق روبرت شتيمة وضمها اليه ليهدأها.

«اهدأي!» صرخ وهو يطفىء سيجارته في المرمدة.

«من السخف ان تصبحي بهذه الحالة كلما هبت عاصفة!».

«اعذرني، روبرت انت تعرف خوفي من العواصف، لا تغضب مني».

«انا لست غاضباً!» والتقت نظراتهما للحظات. ثم امسكت صوفي يديه وضمتهما الى صدرها.

«صوفي!» اعترض بحدة وحاول ان يدفعها عنه.

لكنها ودون ان ترفع نظرها عنه، قربت شفتيها من وجهه، ثم قاوم روبرت للحظات قبل ان تغلبه قوة رغبته، هو ايضاً، هزته رعشة قوية وهو يقطف من شفتيها قبلة مثيرة حارة، فأحاطت صوفي عنقه بيديها وداعبت شعره، وأخيراً تحققت أحلامه! لطالما انتظرت هذه اللحظة اثناء دراستها... طبعاً هي لم تكن تخرج مع الزملاء، وكانت تكتفي فقط بحضور الحفلات والأعياد. لكنها لم تهتم لأي

شاب، فقط روبرت هو الذي يوقظ في نفسها هذه المشاعر الملتهبة...

عندما ابتعد عنها، اشعل سيجارة بحركات متوترة، ثم رمى رأسه على ظهر المقعد وصرخ وكأنه يسخر من نفسه.

«يا إلهي! أوه يا إلهي!».

«روبرت...».

«لا تقولي شيئاً» امرها بصوت مرتفع حاد «دعي لي بعض الوقت للتفكير... لم يكن يجب علي ان استمع لوالدك وآت لاصطحابك من المحطة».

«ماذا؟» صرخت مذهولة «جئت فقط لأن والدي طلب منك ذلك؟» امام حزنها وألمها الشديد، حاول روبرت ان يكون لطيفاً.

«ولكن لا صوفي... انت شقيقتي...».

«بالتبني، فقط!» صححت كلامه بجفاف.

«حسناً، ولكن هذا الوضع سخيف حقاً» ومرر يده في شعره بعصبية.

«سخيف؟ لماذا؟» وشحب لونها وفقدت كل ثقتها.

«لا تكوني ساذجة، صوفي! لنضع الامور في نصابها؟ انت... اخيراً... آخر مرة رأيتك فيها منذ عامين تقريباً... حسناً... كنت قد شربت كثيراً... هذا كل ما في الامر».

«هذا ليس صحيحاً!».

«لا صوفي، انها الحقيقة».

«والآن؟».

«لم يكن يجب علي ابداً المجيء، كنت اعلم... أو بالأحرى كنت أشك بالأفكار السخيفة التي تضعينها في رأسك، في مثل سنك، يحلم المرء كثيراً، وانت واسعة الخيال...».

«كيف تجرؤ؟».

«صوفي، حباً بالسماء! كوني عاقلة! حاولي ان تفهمي! انا لم اغفر لنفسي ابداً لحظة الضعف هذه، انا رجل حساس، بالغ في التاسعة والعشرين من عمري، اقبل فتاة في السابعة عشرة...».

«لم يتم الأمر بهذا الشكل...».

«بلى، لا فائدة من الخداع، انا اشمئز من نفسي».

«والآن؟».

«ماذا برأيك؟ اتشكين بمشاعري؟».

«لست ادري بماذا افكر» اجابته بحزن وحبست دموعها.

«ألا تفهمين ابداً؟ انت جميلة جداً، هذا يفسر تصرفاتي، هذا على الأقل تفسير كاف».

«حقاً؟».

«كفاك تمثيلاً، الآن انت جميلة ساحرة وتدركين ذلك جيداً».

«لماذا تكلمني بهذه القسوة؟».

«لا اريد ان اسبب لك الألم، صوفي، ولكن انت نفسك لا تحاولين تجنيب الأخرين الألم... ارجوك لا تجعلي الأمر مأساوياً... حسناً انا آسف، اعذريني كل شيء بسببي انا».

www.elromancia.com

«لا تسخر مني!».

«في هذه الحالة، انا اسحب اعتذاري، لا بد انني نسيت حرية هذا العصر».

ازداد غضبها فجأة وصفعته بكل قوة على وجهه، لكنها سرعان ما ندمت عندما رأت آثار أصابعها على خده.

«أوه روبرت...» وانهمرت دموعها «لم اكن اريد... سامحني...».

«لا بأس صوفي» اجابها بهدوء «هذا سيفيدك. انت عبرت عن سخطك وأنا... باختصار... لقد اوضحنا الموقف، على كل حال، لم يكن والدك مخطئاً، كان يجب نزع هذه الأفكار السخيفة من رأسك...».

«والدي؟» قاطعته وهي تمسح دموعها بكم قميصها «ما معنى ذلك؟... انه لا يعرف شيئاً؟».

«ولكن بلى، بالتأكيد لقد اخبرته بكل شيء».

«لا، لم تفعل ذلك!».

«ولماذا؟ يا إلهي صوفي! كم مرة يجب ان اكرر كلامي؟ لقد لمت نفسي كثيراً، كان يجب ان اعطيه سبباً وجيهاً كي لا اعود الى المنزل اثناء وجودك فيه».

«ولكن... ولكن... سفرك الى الشرق الاقصى؟».

«كانت تلك كذبة، وبالفعل سافرت لمدة شهرين فيما بعد صوفي، كنت اشعر بأنني مضطر للاعتراف له بالحقيقة، كنت اشعر بالعار...».

«العار؟» لم تكن قادرة على التصديق، بعد هذه القبلة الحارة... لا هذا غير معقول...

«أوه، روبرت لن اسامحك ابداً!».

«انا لا اطلب منك شيئاً! احاول ببساطة ان افسر لك تصرفي، لقد تصرفت باندفاع غريزي، ولا يجب عليك ان تتوهمي كثيراً بالنسبة لهذا الموضوع، وتتخيلي وجود عواطف اكثر عمقاً».

«انا لا اصدقك!» صرخت بحدة.

«كنت اظن انك ستفهمين الوضع بصورة افضل، انا لست قديساً صوفي... اما انت فيجب ان تغيري هذه المرحلة كأول تجربة لك، ليس اكثر».

«كيف يمكنك ان تنفي انفعالاتي بهذه البساطة؟ ولماذا قبلتني منذ قليل؟».

«هذه ردة فعل طبيعية، صوفي، لقد تأثرت... انا لست فخوراً بنفسي، ولكن كيف كنت سأشك... أوه، صوفي كنت احاول ان اهدئك فقط، بسبب العاصفة. وهذه ليست اول مرة، اتذكرين تلك الليلة عندما جئت ولجأت الى غرفتي وأنت مرعوبة؟ كان عمرك ثمانية اعوام فقط، وواسيتك وطردت الرعب من قلبك، تماماً كما حدث الآن».

«انت فظ لئيم، انا اكرهك!» صرخت بيأس ثم اسندت رأسها على ركبتيها وأجهشت بالبكاء.

«فوضع اصابعه في شعره وتأملها قليلاً ثم تأمل قوس قزح الذي ارتسم في السماء، وكان المطر قد خف قليلاً، فانحنى وأدار مفتاح الكونتاك.

«رتبي ملابسك صوفي» وانطلق باتجاه المنزل.

فرتبت صوفي ملابسها، وكانت بحالة يائسة، بنصف ساعة فقط استطاع روبرت ان يدمر كل آمالها وأحلامها. . . الآن هي تشك براحته بين عائلتها، لأنها لا ترغب في ان تشكو لهم همها وتواجه اسئلتهم كل امنيتها الآن ان تختفي وتخفي عذابها.

كان منزل آل كمبل يقع على رأس تلة في اول البلدة، انه يمثل بالنسبة لصوفي، ايام طفولتها السعيدة ومراهقتها.

كم من الذكريات يثير في نفسها! ايام الصيف الطويلة التي قضتها في السباحة والصيد على ضفة النهر، او في لعب التنس في حديقة المنزل الكبيرة، وليالي الشتاء الحميمة حيث كان جميع افراد الاسرة يجتمعون حول المدفأة. . . كم تبدو هذه الذكريات مؤلمة الآن! لأنها كانت في تلك الأيام تأمل في ان تكتسب حب روبرت. . .

استيقظت مذهولة في صباح اليوم التالي لعودتها من المدرسة الداخلية وبعد لحظات، فهمت سبب حزنها العميق، وعادت اليها ذكرى الأمس، فخبأت وجهها في الوسادة، لتخنق بكاءها اليائس، ماذا سيحدث؟.

كانت قد وصلت الى المنزل في وقت العشاء وارتاحت بعض الشيء عندما علمت انهم طلبوا والدها لحالة طارئة، وكان سيمون الشقيق الأصغر قد استقبلها بمرحه المعتاد الذي اراحها كثيراً، مع انه كان من وقت لآخر ينظر اليها بقلق، اما لورا الوالدة فكانت تبدو كأنها لا تلاحظ التوتر الذي نشأ بينها وبين روبرت، وعندما عاد والدها، حاولت صوفي ان تسيطر على عصبيتها، وكان روبرت قد خرج بعد

العشاء لزيارة صديقه جون ميرديث، ولم تعترض والدتها ولا شقيقها سيمون، بل على العكس، بديا مرتاحين لخروجه.

وبجهد كبير، استطاعت صوفي ان تروي لهم آخر اسابيع قضتها في المدرسة، ولكنها لم تكلمها عن خيارها بين متابعة او توقيف تحصيلها العلمي.

نظرت صوفي الى الساعة، فوجدتها تشير الى العاشرة! وكانت قد نامت متأخرة ليلة امس، هذا صحيح، فعيونها ظلت مفتوحة في الظلام، وأذانها تترقب عودة روبرت، وحتى بعد عودته الى المنزل في ساعة متأخرة، وجدت صعوبة كبيرة في ايجاد النوم، وأحست بثقل كبير فوق كتفيها، فقط لو انها تستطيع ان تحبس نفسها طوال النهار في غرفتها. ولكن يجب عليها ان تخرج وتنفذ المظاهر. بعد كل شيء، لا شيء تغير في الواقع. سيظل روبرت يحبها كأخته الصغيرة. ولن يتوقف العالم عن الدوران لأنها فقدت أحلامها. . . ولكن لا يمكنها تجاهل كلمات روبرت القاسية. فرغم نفيه الصريح، إلا انها متأكدة ان مشاعره نحوها تتعدى الحب الأخوي، كما وأن تصرفاته تحيرها. هل سيمكنهما ان يتصرفا كما في الماضي؟ كانا يجدان سعادة كبيرة برفقة بعضهما. . . على الأقل، يبقى لهما حنان الأخوة، ومن يدري؟ فقد يرغب ذات يوم بتوطيد العلاقة بينهما. . .

جمعت صوفي شجاعتها وأخذت حماماً سريعاً، وبينما هي ترتدي ملابسها، سمعت دقات خفيفة على الباب.

«من؟» سألت بقلق.

«أوه، استيقظت صوفي؟» سألتها لورا وهي تدخل حاملة صينية عليها كوب من العصير وبيض مسلوق وتوست.

«احضرت لك فطورك! كنت تبدين متعبة مساء امس، فقلت لوالدك ان يتركك نائمة».

«انا بخير، يا امي حقاً! ولكن هذا لطف منك» وارغمت نفسها على الابتسام.

«بإمكانك العودة الى النوم، اذا اردت سيعود والدك بعد نصف ساعة، ستشربين الشاي معه».

«حسناً، سأتناول فطوري هنا» اجابتها بتردد «ثم سأقوم بنزهة قصيرة».

«هل انت بخير، يا عزيزتي؟» سألتها لورا عندما لاحظت ارتباكها.

«نعم... طبعاً» وبدأت تشرب كوب العصير.

«لقد سأل عنك غراهام وايت الأسبوع الماضي، يبدو بغاية الشوق لرؤيتك».

«غراهام وايت؟... أوه نعم غراهام».

«نعم، انت تعرفينه، فوالداكما يلعبان الغولف معاً دائماً».

«لا اذكره جيداً. انه في الجامعة الآن، اليس كذلك؟».

«نعم، في السنة الأولى... لقد دعوته لزيارتنا في نهاية الأسبوع. ستكوني سعيدة برفيق يلعب معك التنس».

«أوه، ماما!» اعترضت صوفي ولم يعد بإمكانها إخفاء انزعاجها «بإمكاني ان العب مع سيمون... وروبرت!».

«طبعاً، سيكون سيمون سعيداً بالانضمام اليكما، ولكن روبرت... سيكون مشغولاً...».

«على كل حال، لست بحاجة لأحد لتسليتي».

«انت بحاجة لأصدقاء بمثل سنك، صوفي! لقد قضيت وقتاً كبيراً مع سيمون وروبرت، لا يجب ان تظلي تحبسين نفسك مع الكبار، حتى انكم ليس لديكم نفس الاهتمامات».

«حقاً ماما، لا تقلقي علي، لن اشعر بالملل اثناء وقت فراغي، كما وانني افكر بالبحث عن عمل».

للحقيقة هذه الفكرة خطرت فجأة ببالها.

«هذه الفكرة لن تعجب والدك ابداً صوفي...».

«لماذا؟».

«حسناً... انت انهيت دراستك الثانوية، وهو يحب ان يستغل فرصة وجودك في المنزل قبل رحيلك الى الجامعة».

«قد لا اتابع علومي، ماما. ولم اتخذ قراراً بهذا الموضوع بعد».

«ماذا؟» صرخت لورا بدهشة «لا تتفوهي بالحماقات، ستذهبين الى الجامعة بالطبع، والدك يعلق آمالاً كبيرة عليك، فلا تفكري بتخييب آماله!».

«الدراسة ليست هي كل شيء في الحياة...».

«ماذا تقصدين؟».

«انا... هناك احتمالات اخرى ممكنة... الزواج مثلاً...».

«هيا يا ابنتي! في سن الثامنة عشرة لا تفكر الفتاة بالاستقرار، بل تفكر بالاستفادة من شبابها، انت لا تتكلمين جدياً!».

«انه احتمال، ليس اكثر».

«اذا علم والدك بذلك، سيغضب كثيراً، فهو يحب الصبيين، وعاملهما دائماً كولديه، ولكن... الامر مختلف بالنسبة لك سيتألم كثيراً اذا رفضت تحقيق الطموحات التي يتمناها لك».

لورا محقة! ايجب عليها ان تخيب أمل والدها؟ كان دائماً فخوراً بنجاحها في المدرسة!.

«انا آسفة، ماما لست جائعة».

«اعذريني صوفي، لم اكن اقصد ازعاجك، هذا ليس لطيفاً من جهتي ان استقبلك بهذا النقاش في يومك الاول... لننسى هذا الموضوع، على كل حال لديك متسع من الوقت للتفكير ملياً».

- ٣ -

اقتربت صوفي وضمت السيدة لورا الى صدرها.

«أوه، ماما اعذريني، لم اكن اريد ان اغضبك ابداً! لا تقلقي حتى ولو فكرت بالبحث عن العمل، فسيكون هذا مؤقتاً فقط ريثما تفتح الجامعات ابوابها».

اشرق وجه السيدة لورا، فعائلتها الصغيرة لم تواجه من قبل مشاكل داخلية، وهي نفسها كانت دائماً على علاقة حميمة مع ابنة زوجها، وهما تتشاركان حب الدكتور كمبل والشابين، بدون اي شعور بالغيرة والمنافسة، ولا تريد ان تفسد هذه العلاقة ابداً.

«حسناً، يا عزيزتي، سنتكلم بذلك فيما بعد، ولكن دعي قليلاً من الوقت لوالدك، انه سعيد جداً بعودتك، وقد

www.elromancia.com

اشتاق اليك كثيراً».

«حسناً، سأنهض وابدل ملابسي، ارغب بالخروج قليلاً».

حملت السيدة لورا الصينية وغادرت الغرفة فنهضت صوفي وارتدت بنطلون جينز، وجدت صعوبة في ارتدائه، يبدو ان كل ملابسها اصبحت ضيقة عليها، ثم ارتدت كنزة زرقاء، وسرحت شعرها، على السلم التقت بسيمون.

«يا إلهي، اتنوين الخروج بهذه الملابس؟».

«ولما لا؟ ألا تعجبك ملابسي؟» سألته مبتسمة.

«أوه، بلى ولكن والدك لن يكون من رأيك!».

«لقد اصبحت سمينة...».

«ارتدي معطفك، سأصطحبك الى هيرفورد كي تشتري ملابساً جديدة!» اقترح عليها بلطف ومحبة «انا حرٌ طوال فترة قبل الظهر».

ترددت صوفي قليلاً، وكانت تفضل ان تر اولاً اذا كان روبرت هنا ام لا...

«لست ادري... سيمون...».

«روب ليس في المنزل» قال لها بلطف «لقد خرج مع جون».

فاجأتها دقة ملاحظته وحاولت ان تظهر عدم مبالاتها.

«حسناً! وهل عاد والدي؟».

«اسمع سيارته... اذاً هل ستأتين الى هيرفورد؟».

«موافقة اذا... كنت تريد، ولكن اولاً، وعدت ان اشرب الشاي مع والدي».

«ساعود لاصطحابك بعد نصف ساعة».

انضمت صوفي الى والدها وجلسا في غرفة المكتب. ادخلت لهما لورا الشاي وانسحبت، وجه لها والدها نفس الملاحظة التي وجهها لها سيمون بشأن ملابسها.

«سيمون عرض علي ان يصطحبني الى هيرفورد لشراء ملابس جديدة» قالت له صوفي «ولكن...».

«تحتاجين للمال، طبعاً».

«كانت والدتي قد وعدتني بأن تشتري لي ملابساً جديدة، ان كل ملابسي اصبحت ضيقة...».

«هذا لا يدهشني، لقد تغير كثيراً صوفي، لقد اصبحت فتاة كبيرة الآن».

لماذا ذكرتها هذه الكلمات بكلام روبرت القاسي بالامس؟.

لاحظ والدها توترها المفاجيء، لكنه لم يعلق على الموضوع، وتناول دفتر شيكاته وحرر واحداً ناوله لابنته بابتسامة مليئة بالمحبة والحنان.

«ولكن ابي...» بدأت كلامها وقد ازعجها هذا الكرم.

«انه مبلغ كبير جداً».

«اشترِ ما تحتاجين اليه، وضعي الباقي في المصرف، باسمك ستحتاجين لاشياء كثيرة».

فنهضت لتقبله.

«أوه، ابي انا اعبدك!».

«وانا ايضاً، يا عزيزتي» اجابها وضمها اليه واجلسها على ركبتيه، فجأة ارتبكت صوفي هذا المشهد يذكرها

بمشهد آخر خلال عيد رأس السنة منذ سنتين تقريباً، في نفس الغرفة، وعلى نفس الكنبة... فأحاطت عنق والدها بيديها واجهشت بالبكاء، مسح والدها دموعها بمنديله وقال بهدوء.

«انا على علم بكل شيء صوفي، روب اخبرني بذلك، لقد ألمك هذا الحادث كثيراً، ولكني افهمك يا عزيزتي، هذا طبيعي، روبرت شاب وسيم واية فتاة اخرى كانت ستتصرف بنفس طريقتك، ولكن يجب ان نعيد الامور الى طبيعتها، روبرت يكبرك باثنتي عشرة عاماً، لديه حياته الخاصة، وانت لديك حياتك... والآن، اغسلي وجهك، لا بد ان سيمون ينتظرك و... صوفي...» اضاف عندما وصلت الى الباب «لا تضعي افكاراً سخيفة في رأسك بالنسبة لسيمون، حسناً؟».

اسرعت صوفي الى غرفتها وارتدت ثوباً ازرق وعندما نزلت كان سيمون بانتظارها في سيارته الكرايزلر.

«انت جميلة جداً» قال لها سيمون وهي تشير بيدها الى والديها الواقفين امام باب المنزل.

وكان الطقس قد تغير وظهرت الشمس بين الغيوم، رفعت صوفي يدها الى خديها الذين لا يزالان محمرين من شدة انفعالها، هل لاحظ سيمون توترها وعيونها المتورمة؟ ركن سيمون سيارته في الشارع الكبير حيث يوجد محل ليفنسون للازياء.

«لا تعتقد انك مجبر على مرافقتي» قالت له صوفي وهما ينزلان من السيارة.

«لماذا؟ ايزعجك وجودي؟».

«ابداً! ولكن لا اريدك ان تشعر بالملل!».

«افضل مراقبتك! كي اجنبك اية مشاكل!».

لاحظت صوفي لمعاناً غريباً في نظراته، لكنه اختفى بسرعة، وعاد سيمون لطبيعته المعتادة.

واخيراً وقع اختيار صوفي على بنطلون جينز وآخر من المخمل الاصفر، وقميصين واحد كارو والآخر باج، وامام اصرار سيمون، اشترت ايضاً تنورة حمراء تناسبها، ثم عادا الى السيارة، اقترح عليها سيمون ان يتناولا الغداء في المدينة.

«ولكن والدتنا ستنتظرنا على الغداء».

«لا، لقد قلت لها ان لا تقلق اذا تأخرنا».

قبلت صوفي بعد تردد قصير، فدس سيمون اصابعه بين اصابعها وقادها الى مطعم صغير قرب السوق، فأكلت صوفي طعامها بشهية، وتناولت طبق الحلوى كله.

«هل اعجبك؟» سألها سيمون عندما لاحظ مرحها.

«انه لذيذ جداً!».

«لا بد انك كنت جائعة جداً... انت لم تلمسي عشاءك مساء امس، وفي الصباح اعادت امي صينية الطعام كما كانت...».

نظرت صوفي حولها وحاولت ان تغير الموضوع.

«هذا المطعم افتتح منذ مدة طويلة؟».

«منذ شهرين فقط» اجابها ثم اسند رأسه بين يديه واخذ يتأملها باهتمام.

«اعلمت بمشروع والدينا بالنسبة لاجازتنا القادمة؟ ينويان اصطحابنا كلنا الى فرنسا».

«فرنسا؟ لا، لم اكن اعلم... ماذا تقصد بكلنا؟».

«انت، وانا وآل باج».

«أوه لا! مع فيكي باج، لا!».

«والدنا ووالدها استأجرا ڤيلا في برتان... على كل حال، اذا كان يجب على احد ان يقلق، فهو انا! فيكي لا تكف عن ملاحقتي... وللأسف، هي لا تعجبني، لأن العائلتين ستكون سعيدتين بهذا الارتباط!».

تأملته صوفي بقلق وهو يفرغ كأسه دفعة واحدة وكأنه يحاول ان يجد الشجاعة لمواجهة فكرة هذه الرحلة برفقة فيكي، لا بد ان الوالدان دبرا هذه الرحلة للتقريب بينهما.

«قد يكون والدينا يحبان ان تستقر، سيمون».

«انا ايضاً ارغب بذلك، احياناً... ولكن ليس من فيكي باج».

ارتبكت صوفي واحست باشتعال خديها، ولكن هذا مستحيل! انها مخطئة! سيمون لم يكن يهتم بها بهذا الشكل! لم يكن يخطر هذا ابداً في بالها، كما وانها بعد سوء التفاهم الفظيع الذي حدث بينها وبين روبرت، اقسمت على ان لا تقع من جديد في سوء تفاهم من هذا النوع.

«ولكن يوجد فتيات كثيرات في كونتن وهيرفورد» اجابته صوفي وهي تشعر بالحرج.

«صوفي!» اعترض سيمون وامسك يدها «لا تتفوهي

بالحماقات، انت فهمتني جيداً، لا تهمني اية فتاة اخرى غيرك تعرفين ذلك جيداً».

«أوه، سيمون!» وسحبت يدها بسرعة.

«انت لا تشاركيني مشاعري، لا اجهل ذلك، ولكنك لا تزالين صغيرة! وامامك الوقت لتتغيري، انا صبور وسانتظرك».

وصمت قليلاً واشعل سيجارة «على كل حال لا تعتمدي على زواج افتراضي لتتخلصي مني!».

«أوه سيمون، لم يكن يجب عليك ان تعترف لي بذلك...».

«تبدين منهارة جداً، بعد... نقاشك مع روبرت... انا اعرف كل شيء، هو اخبرنا بذلك، في ذلك الوقت شعرت بألم كبير، لكنني نضجت واصبحت واضحاً، انت دائماً كنت تعتبرين روبرت نوعاً من الابطال أو الآلهة، ولكنه كبير بالنسبة لك، لقد عاش مغامرات عديدة! انسانة مثل ايما تناسبه اكثر منك».

«ايما، ايما فورتون؟» رددت بانقباض في قلبها.

«سنتكلم حول هذا الموضوع مرة اخرى، ما رأيك بنزهة في بريكون بيكون؟».

وعندما ترددت اضاف «لا تخشي شيئاً معي، صوفي انا لا احاول ان افرض نفسي عليك رغماً عنك».

ذهبا الى تلك المنطقة الهادئة باشجارها وينابيعها، ووفى سيمون بوعده وحافظ على مسافة بينهما حتى انه لم يمسك يدها، ثم عادا الى المنزل في الساعة الخامسة، فوجدا

امام المنزل سيارة جكوار رائعة متوقفة امام سيارة روبرت الجنسن.

«انها سيارة جون، اتعرفينه؟» سألها سيمون.

«نعم، ولكنني لا اذكره جيداً».

«سيعجبك حتماً، انه خطيب جوانا وايت، عندما تكون ايما هنا، يخرجون هم الاربعة معاً دائماً».

في الصالون كان روبرت وجون جالسين يدرسان خرائط مفتوحة على الطاولة المنخفضة، عندما رفعا رأسيهما لاستقبال صوفي وسيمون لم يحاول جون اخفاء اعجابه بالفتاة.

«مساء الخير صوفي» قال وهو يتقدم نحوها مبتسماً.

«كم تغيرت! لقد اصبحت شابة رائعة الجمال!».

«يؤسفني انني لا اذكرك جيداً» اجابته ممازحة وقد اعجبها اطراؤه.

«بامكانك ان تناديني جون، ارجوك، انا لست كبيراً لدرجة ان اكون والدك!».

قطع صوت روبرت مزاحهما الخفيف.

«هل انتهيت جون؟ لدي عمل كثير».

«حسناً، حسناً كن صبوراً، يا صديقي انت رجل محظوظ لأنك تعيش هنا برفقة هذه المخلوقة الرائعة...».

«جون، ارجوك!».

فترك جون اخيراً صوفي وانضم الى صديقه.

«اين كنتما؟» سألهما روبرت بحدة.

«تناولنا الغداء في هيرفورد ثم تنزهنا قليلاً» اجابه اخوه.

«ألم تكونا هنا طوال النهار؟».

«لا!» اجابه سيمون وعقد حاجبيه.

«كان يجب على صوفي ان تبق مع والدها، اليوم هذا اقل ما يمكن» قال روبرت بلهجة العتاب.

احمر وجه صوفي، وحافظ سيمون على اعصابه واجابه بجفاف «اهتم انت بشؤونك، هذا شيء لا يعنيك».

«بلى، يعنيني...».

«لا» قاطعه سيمون «لو كنت مكانك، لامتنعت عن اي تعليق! وإلا فالجميع وحتى ايما سيعتبرونك غيوراً!».

«هيا روبرت» تدخل جون لحسن الحظ «اذا انتهيت، بامكاننا ان نتابع عملنا، انا ايضاً لدي عمل آخر».

غادر سيمون الغرفة مع صوفي التي ازعجها هذا العداء بين الشقيقين، لم تكن تشك بوجود كره بينهما...

«لا تقلقي صوفي» وابتسم بها باشفاق «اطمئني ليس هناك شيء خطير».

«اتعتقد ذلك؟».

«نعم، روب يبدو لي احياناً بوضع مستحيل لكنه يندم عليه بمرارة» ثم تركها وخرج.

مضى الاسبوعان الاولان بسرعة، وكان الدكتور كمبل مشغول جداً بسبب انتشار الحصبة في المنطقة، وكانت صوفي ترافقه كل يوم الى العيادة لتساعد الممرضة، بينما كان روبرت يقضي معظم وقته خارج المنزل.

هذا اليوم، اصطحب سيمون والدته، الى المدينة وعادت صوفي من العيادة بوقت مبكر، فقررت ان تسير في

البلدة قليلاً وتشاهد طيور البط في النهر، فاشترت بعض الخبز لتطعمهم وتسلي نفسها قليلاً، وفي طريق العودة توقفت امامها سيارة، تعرفت فوراً على سائقها، انه جون ميرديت.

«كيف حالك صوفي!» قال وهو يتأمل قوامها الرشيق.

«بخير، يا له من يوم رائع!» ورفعت يدها لتحمي عيونها من اشعة الشمس.

«هي، اصعدي لاوصلك الى المنزل».

«ولكن... انا...» تلعثمت واحمر وجهها.

«تعالي لنشرب شيئاً بارداً، اترغبين في السباحة؟ لقد بنى والدي حوضاً للسباحة، في الصيف الماضي».

كانت صوفي ترغب بذلك، ولكنها لا تعرف جون جيداً...

«يجب... يجب اولاً ان اسأل والدتي».

«حسناً، سارافقك فتأخذين الإذن وتحضرين مايوهك».

لم تجد صوفي والدتها في المنزل، واخبرتها مدبرة المنزل انها ذهبت مع سيمون الى المدينة.

«اهناك شيء مهم تريدين ان تقوليه لها؟».

«أوه... لا، لا شي هل عاد روبرت؟».

«لا، لا يوجد احد، اتريدين قهوة؟».

«لا شكراً، جئت لاخذ مايوه السباحة».

بعد دقائق قليلة، ركبت صوفي سيارة جون، وكانت قد ارتدت المايوه تحت ملابسها.

«هل حصلت على الإذن؟» سألها جون بمرح.

«نعم» اجابته بعد تردد قصير، وكانت سعيدة بالتعرف على قصر آل ميرديت الذي سمعت عنه الكثير، وكانوا لا يزالون يعتبرون من اثرياء ووجهاء المنطقة.

كان القصر عبارة عن بناء كبير، رائع في هندسته، يقع وسط ساحة كبيرة، وقد اضيفت عليه تحسينات جعلته يعبر بنفس الوقت عن فن العمارة القديم وهندسة الديكور الحديث.

ركن جون سيارته، وقاد الفتاة باتجاه الحديقة.

«لن نكون وحدنا، انا اسمع صوت فيرونيكا واصدقائها» قال جون.

«قد يكون من الافضل ان اذهب» قالت صوفي بخجل.

«لماذا؟ اتخافين التعرف على الناس؟» وامسك يدها بلطف.

«لا، ولكن...» وكانت تخشى الشائعات والاقاويل. ماذا ستظن فيرونيكا وهي ترى اخاها برفقة فتاة اخرى غير خطيبته؟.

«وجوانا؟».

«لا تقلقي» اجابها مبتسماً.

وصلا الى حوض السباحة الذي يقع خلف القصر، وكان هناك بعض الشبان والشبات يتقاذفون بالمياه في الحوض، واخرون ممددين على الكراسي الطويلة تحت اشعة الشمس.

حيّ جون الجميع بمودة بينما تأملوا صوفي بفضول.

«ماذا تشربين صوفي؟» سألها جون.

«كوكا كولا» اجابته وتبعته الى طاولة في الظل.

بينما كانا يرويان عطشهما، اقتربت فتاة ترتدي بيكيني اسود، وكانت تبدو مندهشة لوجود صوفي.

«اين كنت مختفياً؟» سألت الفتاة جون.

«أوه، فيرونيكا! دعيني اعرفك على صوفي شقيقة روب، صوفي، هذه شقيقتي فيرونيكا».

«تشرفنا» قالت فيرونيكا بابتسامة لطيفة «اتقضين الاجازة في كوونتث؟».

«لقد انتهيت دراستي الثانوية» اجابتهاصوفي.

«آه، عظيم!» ثم التفتت فيرونيكا نحو شقيقها «لقد اتصلت جوانا، لا بد انها كانت تأمل ان تتناول الغداء معها».

زم جون شفتيه بانزعاج وسألها «هل انت متأكدة؟».

«على كل حال، هي اتصلت وسألت عنك».

«حسناً، ستتصل بي مرة ثانية بدون شك» ثم التفت نحو صوفي وقال «اتريدين السباحة؟».

فنظرت الفتاة الى فيرونيكا التي تبتعد.

«يبدو ان شقيقتك ليست مسرورة بزيارتي» تمتمت بخجل.

«لا تهتمي لذلك!» قال بلطف ثم اتجها نحو الاخرين الذين استقبلوا صوفي بمرح، ولعب الجميع بالكرة داخل المسبح وضحكوا كثيراًوانسجمت صوفي بسرعة مع هذه المجموعة، وبعد ضحكة طويلة، حبست انفاسها عندما رأت فجأة روبرت يرتدي بدلة رمادية انيقة وينظر اليهم

بقسوة، وهو يقف امام الحوض، جون رآه ايضاً، لانه خرج من الماء واسرع للقائه.

«مرحباً روب!».

«الن تنضم الينا؟» صرخ الجميع بمرح، لكن روبرت لم يكلف نفسه عناء الاجابة، واخذ الجميع يراقبونه وهو يتحدث مع جون بينما تجمد الدم في عروق صوفي كما حدث في ذلك اليوم الذي تشاجر فيه مع شقيقه سيمون.

«شقيقك لا يبدو مسروراً!» قالت فيرونيكا بسخرية.

«لست ادري لماذا!» اجابتها صوفي بهدوء رغماً عنها.

«حقاً؟ ألا تعلمين بان جون لديه خطيبة؟ فليس من اللائق ان يتقرب منك».

«ولكن... انت مخطئة!» اعترضت صوفي بحدة «ابداً...».

«انا اعرف شقيقي، لقد لاحظت نظراته اليك، انك تعجبينه، حتماً... أوه لم يكن يجب ان اقول ذلك، ولكن... تبدين بسيطة ولن تستغلي الوضع».

«شكراً» اجابتها صوفي بجفاف وصعدت لتنشف جسدها.

عندما ناداها جون، انضمت الى الصديقين وحاولت ان لا تتأثر بغضب روبرت.

«اخشى انه يجب ان تذهبي مع شقيقك الكبير، صوفي» قال جون آسفاً «لقد حاولت ان اهدأ من غضبه، يبدو انه كان قلقاً جداً عليك، لم يكن احد يعلم اين انت؟».

«لم استطع ان اخبر والدتي، كانت في هيرفورد مع

سيمون» قالت صوفي بهدوء.

«كان بامكانك ان تتركي خبراً مع السيدة فورست» اجابها روبرت بجفاف «انا ابحث عنك منذ اكثر من ساعة، والدك قلق جداً، غلطتك لا تغتفر، تتصرفين احياناً كطفلة مدللة غير واعية لنتاج اعمالها».

اخفضت صوفي نظرها ولم تقل شيئاً، بينما تدخل جون وحاول ان يدافع عنها.

«هيا روبرت، لا تبالغ! لا تضخم الامور، على كل حال، اذا كان اللوم يقع علي احد، فهو انا...».

«ارتدي ملابسك، صوفي» امرها روبرت وهو يحاول السيطرة على غضبه «هيابنا».

ترددت صوفي قليلاً، ثم اسرعت وبدلت ملابسها، عندما عادت اوقفها جون قليلاً بينما سبقها روبرت الى السيارة.

«انا آسف، حقاً».

«ليس الذنب ذنبك، جون».

«قليلاً، نعم ولكني لم اكن اتصور ان تكون ردة فعل روبرت بهذا الشكل» ثم هز كتفيه واضاف «متى يمكنني ان اراك؟».

«انت تمزح!» اعترضت وهي تنظر الى روبرت الذي ينتظرها والشرر يتطاير من عيونه.

«ولكن لا... اتسمحين لي ان اتصل بك هاتفياً؟».

«انا... أوه، اذا كنت تريد» واسرعت وانضمت الى روبرت.

انطلق روبرت بسيارته بسرعة جنونية، وعندما وصل الى سور الحديقة، طلب منها بلهجة الأمر.

«افتحي الباب لو سمحت».

«افتحه بنفسك!» اجابته بحدة.

فشتم غاضباً ونزل وصفق باب السيارة بعنف، وفتح باب السور وعاد الى السيارة، فشعرت صوفي بالندم، على كل حال، هو لديه اسبابه لغضبه، خاصة اذا كان والدها قلقاً جداً.

«انا آسفة لأنني تسببت لك بهذا الازعاج... ولكن هذا لا يمنحك الحق لتكلمني بهذا الشكل امام... رجل غريب!».

- ٤ -

لم يجبها روبرت وركز اهتمامه على القيادة، فتأملته خلسة، انه سيد نفسه ويبدو قوياً وحازماً بينما هي تشعر بالخجل والشفافية... كيف تجرأت على تقبيله ذلك اليوم، في المحطة؟.

«اعتذاري لا يكفي؟» صرخت بحدة ولم يعد بامكانها تحمل صمته، فرمقها بنظرة قاسية، لماذا يظهر جفافاً وبعداً؟ انها لم تعد تفهم شيئاً حول علاقتهما، اين ذهب حنانهما ومحبتهما القديمين؟ وعندما اقتربا من المنزل، قرر روبرت ان يفتح فمه.

«لا تختفي مرة ثانية دون ان تخبري احداً!».

«ما هذه القصة؟».

«وفي المستقبل، لا تخرجي مع جون ميرديت، فان

خطيبته لن تكون راضية».

«اعلم! انا لست طفلة!» ولكن امام نظرته الساخرة، رغبت فجأة بالبكاء.

«أوه، لماذا انت لئيم معي؟» صرخت بيأس «كنا اصدقاء حميمين في الماضي».

وعندما اوقف السيارة، قفزت بسرعة ولجأت الى غرفتها، وبعد لحظات دخل روبرت فجأة.

«ماذا تريد؟».

لحظة... ثم تنهد بعمق، وقال بجهد كبير.

«انا اعتذر، صوفي لم يكن يجب ان اعاتبك امام جون، لكنني كنت قلقاً عليك... انا آسف حقاً».

«لا بأس... روبرت» اجابته وهي ترتجف.

«انا... ذاهب الى غلوسستر بعد الظهر، اترغبين بمرافقتي؟».

فقفز قلبها من الفرح.

«اترغب بذلك انت؟».

«بالتأكيد، وإلا لما عرضت عليك ذلك».

فاحنت رأسها ولم تجبه.

«ألا تريدين المجيء معي؟».

«فرفعت عيونها الخضراء المشرقة نحوه.

«ولكن بلى... انت تعلم ذلك جيداً».

«اذاً، هيا بدلي ملابسك، سنخرج فوراً بعد تناول الغداء».

تفاجأ والدها عندما علم بزيارتها لقصر آل ميرديت، لكنه

لم يعنفها، واكتفى بان طلب منها ان تقول الى اين هي ذاهبة في المستقبل، ارتدت صوفي تنورتها وقميصها الجديدين وانضمت الى الجميع في غرفة الطعام، اعلن لهم روبرت بانهما سيذهبان الى غلوسستر بهدوء تام... والدته احتفظت بالصمت، بينما هز الدكتور كمبل رأسه، اما سيمون، فلم يحاول اخفاء امتعاضه.

«كنت ساقترح على صوفي مرافقتي الى الشاطىء» قال بعصبية.

«الطقس حار جداً اليوم، بالتأكيد انت تفضلين الاستحمام صوفي، اليس كذلك؟».

لكن روبرت اسرع وقال «لقد قضت فترة من الصباح تستحم في الحوض...».

«في القصر» اضافت صوفي بسرعة امام دهشة سيمون.

«التقيت بجون صدفة وانا في طريق العودة الى المنزل، فدعاني».

«لكنك لم تقولي لي» عاتبها سيمون.

«لم يكن لدي متسع من الوقت».

«انت لا تعرفينه جيداً!» اعترضت لورا.

«كان سعيداً برفقة، صوفي» قال روبرت وهو ينظر اليها.

«انها... لا تزال صغيرة...».

«انها في الثامنة عشرة، يا امي» قال سيمون وقد نفذ صبره.

«انها لم تعد طفلة».

«جون خاطب...».

«هذا قد لا يمنعه من ان يكون حساساً امام سحر صوفي» قال الدكتور وهو ينظر الى روبرت «والآن اعذروني، ساشرب القهوة في المكتب».

بعد خروج الوالد، بدأت صوفي تنظف المائدة.

«دعك منها، صوفي ستهتم السيدة فورست بتنظيفها» قالت لها السيدة لورا ثم التفتت الى روبرت «متى ستذهبان؟».

«بعد خمسة دقائق» اجابها وغادر غرفة الطعام.

تبعه سيمون، واقتربت صوفي من والدتها وسألتها بخجل.

«بماذا تنصحينني؟».

«اذهبي مع روبرت، لقد سبق وقلت له نعم، على كل حال» فهزت صوفي رأسها.

«ولكن لا تنسي ايما» قالت السيدة لورا وهي تدخل الى المطبخ.

ما معنى هذا التحذير؟ هل ارتبط روبرت جدياً بايما نورتون؟.

وقفت صوفي امام النافذة وتذكرت تلميحات سيمون بهذا الموضوع، يبدو ان ايما اقامت مدة لا بأس بها في المنزل... ايفكر روبرت بان يخطبها؟ هذا يفسر سبب جفافه معها... ولكن لا، مستحيل! لن يتزوج ايما نورتون! ليس هذه الفتاة!.

«هل انت مستعدة؟».

قطع صوت روبرت حبل افكارها القاتمة، فالتفتت

نحوه، وكان يرمي جاكيته على كتفه ويتأملها مبتسماً، فاحست فجأة بالخوف والحرج، انه جذاب جداً! جميل وانيق ولا يمكن مقاومته... فاخفضت نظرها على تنورتها وقالت بتردد.

«قد لا اكون انيقة كفاية...».

«ولكن بلى، انت رائعة».

«اهذا صحيح؟ ولكن... اذا ذهبنا الى اماكن راقية...».

«صوفي... هيا، اسرعي ولا تضيعي الوقت» قال لها بحدة.

«بامكاني البقاء هنا، اذا لم يكن لديك سوى القليل من الوقت...».

فاقترب منها وامسك يدها بحزم.

«انا اجد ملابسك جميلة جداً، والآن هيا بنا!».

ابتسمت صوفي له بلطف وفجأة دخل سيمون، وسألها عابساً «انت ذاهبة؟».

«نعم» اجابه روبرت دون ان يترك يدها «اذا لم يكن لديك مانع، طبعاً».

«حسناً، انا لست موافقاً!» وقطع الطريق على اخيه «اية لعبة تلعب، بالتحديد؟».

«أوه، سيمون ارجوك» تدخلت صوفي وقد ازعجها ان يتخاصما مرتين في يوم واحد بسببها.

«دعنا نخرج، اتريد؟» امره روبرت بحدة.

«واذا رفضت؟».

لحسن الحظ دخلت والدتهما بهذه اللحظة.

«الن تكفا عن المشاجرة؟ سيتناول آل باج العشاء معنا هذا المساء لا تنسى ذلك روبرت!».

للحظة، بدا انه سيعود للمشاجرة مع اخيه، لكنه غير رأيه.

«لن نتأخر يا امي» وعدها روبرت وهو يدفع صوفي امامه.

جلست صوفي في السيارة وقدماها ترتجفان. لم تكن تعتقد ابداً بان سيمون بهذا العنف، كان هادئاً ولطيفاً جداً عادة!.

انطلق روبرت بسيارته بسرعة كبيرة، ثم اشعل سيجارة. لاحظت صوفي ارتجاف اصابعه بشكل غير عادي. هو ايضاً يبدو متضايقاً من خلافه مع اخيه... وصوفي ايضاً بدأت تقلق جدياً.

كان الطقس رائعاً، وفكرة قضاء فترة بعد الظهر برفقة روبرت بدأت تخيفها، من اين جاء كل هذا القلق؟.

«ماذا جرى بينك وبين سيمون؟» سألها روبرت فجأة «ماذا اخبرك عني؟».

«لا شيء» اكدت له وقد فاجأها سؤاله وحيرها.

«حقاً؟ انا متأكد انه اخبرك شيئاً ما، اليس كذلك؟».

فتأملته قليلاً ثم اخفضت نظرها.

«انه يراقبك جيداً».

«ماذا تقصد؟ اشرح كلامك بوضوح».

«لا تعجبني تصرفاته معك، وكأنه المسؤول الوحيد

عنك، وكأنه ايضاً يسعى لحمايتك بشكل غيور جداً!».

«انت ايضاً تصرفت بنفس الشكل هذا الصباح» اجابته ببرودة «انت ايضاً لست ملاكي الحارس!».

اطفىء روبرت سيجارته واشعل اخرى ثم قال «انتبهي كي لا تتعلقي كثيراً بسيمون!».

ادهشتها جرأته، فقالت بصوت مرتجف.

«على كل حال، هذا لا يعنيك! انا امنعك من التدخل بحياتي الخاصة».

«صوفي...».

«باي حق تتدخل بي؟ اهذا يطال ايضاً جون ميرديت؟».

«طبعاً».

«يا للسخرية! انا لست بحاجة لنصائحك!».

«لا تزالين صغيرة كي يكون لك علاقات عاطفية... مع اي شخص كان، وحباً بالسماء صوفي، ليس مع سيمون بالذات!».

«انا لا افكر بشيء من هذا».

«اهذا صحيح... ولكني لا اجهل مشاعر سيمون نحوك».

«لا تتدخل في هذا!» انفجرت غاضبة.

«لماذا؟ لقد كلمك بهذا الموضوع، اليس كذلك؟».

«وما ادراك انت؟».

«لقد اعترف لي بنفسه».

«على كل حال... هذا لا يعنيك و... انت مشغول جداً مع ايما بشكل لا يسمح لك بالاهتمام بي».

«من اين لك بهذه المعلومات؟» سألها غاضباً وخفف السرعة.

«ما اهمية ذلك؟ هذا صحيح، اليس كذلك؟ اتنوي ان تخطبها قريباً؟».

«اخطبها...؟» قال وكأن هذه الكلمة لا معنى لها «انا لا ارغب بمناقشة هذا الموضوع الآن».

«بمعنى آخر، انت لا تسمح بطرح الاسئلة» اجابته غاضبة محاولة اخفاء عذابها وألمها خلف قناع الغضب «بينما انت، لديك كل الحق! ولكنني لا ابالي برأيك، على كل حال، اذا دعاني جون ميرديت مرة جديدة، لن احرم نفسي من متعة مرافقته» ثم اسندت رأسها على ظهر المقعد، وتساءلت لماذا قبلت مرافقته؟ لقد اصبح من المستحيل ان يتكلما دون ان يتناقشا، هذا مؤلم جداً... بالنسبة لها، على كل حال، لأنه من الصعب معرفة اذا كان روبرت يشعر بالألم هو ايضاً، يبدو غير حساس وواثقاً من نفسه...

«اسمعي...» قال لها بهدوء «انا لا اتحمل هذه المواقف العدائية، لنحاول ان نتصرف كأشخاص متحضرين، موافقة؟».

«الافضل ان نعود حالاً الى المنزل».

فوضع يده على ركبتها بمحبة.

«لا، دعينا نمضي فترة بعد الظهر معاً، كما كنا متفقين».

«أوه، روبرت» صرخت وتلألأت دموعها، وشدت

اصابعها على اصابعه.

ولم يسحب روبرت يده من يدها إلا عندما وصلا الى غلوسستر، وبعد جولة صغيرة في احياء المدينة القديمة، اقترح روبرت ان يشتريا عصير الفاكهة والكاتو ليأكلا منها على جانب الطريق.

«ما رأيك، صوفي؟».

«انها فكرة رائعة».

دخلا الى احد المقاهي وخرجا بعد لحظات يحملان كيسين صغيرين. وغادرا المدينة بهدوء واكتشفا مكاناً ريفياً رائعاً على ضفة نهر صغير، فحل روبرت عقدة الكرافات وخلع جاكيته وتمدد بكسل على الاعشاب. فتحت صوفي الاكياس والتهمت قطعتين كبيرتين من الكاتو بشهية كبيرة، كان المكان هادئاً ولا يسمع سوى تغريد العصافير وخرير المياه.

وعندما انتهت صوفي، غسلت يديها ووجهها بالماء المنعش، ثم تمددت قرب روبرت الذي لم يكن يبدو مستعجلاً على العودة الى المنزل، اغمضت عينيها واخذت تتمنى ان تطول هذه اللحظات، وعندما فتحتهما وجدت روبرت يتأملها بصمت.

«انها الساعة الخامسة!» قال ضاحكاً.

«ماذا؟ سيصل آل باج في الساعة السابعة!».

«اعلم ذلك».

«يا إلهي، سنتأخر».

«لا يهم!» واخذ يداعب وجهها بيده الدافئة، ثم انزلقت

يده الى عنقها وكتفها، ثم سألها فجأة.

«اتفضلين تناول العشاء معي؟ اعرف مطعماً قريباً من هنا، ويقدم طعاماً شهياً...».

«ولكن روبرت...» وكان صوتها يرتجف وقد تأثرت بملامسة اصابعه لجسدها «والدتك قد...».

«ارغب بقضاء السهرة معك» همس باذنها.

لم تتمكن صوفي من فهم تغير موقفه المفاجيء منها.

«لكنك منذ قليل، كنت...».

«كنت احافظ على مسافاتي... وكان يجب علي ان اتمسك بهذا الموقف...» قال وهو يقبل عنقها «ولكن قد تكون هذه آخر...» وقطع كلامه فجأة.

«صوفي، توقفي عن البحث عن اسباب لكل شيء، امنحيني قبلة، ليس هكذا...» وضمها اليه ومددها على العشب، وقبلها بشوق وحرارة.

لشدة ذهولها، اخذت صوفي ترتجف، واستسلمت بدون مقاومتها لقبلاته الحارة، كانت تعتقد انها تحلم، لكن صوتاً من اعماقها كان ينصحها بالحذر، وبألا تتوهم كثيراً، ستكون اليقظة قاسية... لكنها لم تكن تملك القوة على الابتعاد عنه، ودون ان تعرف لماذا، شعرت بانها ترتكب غلطة، لم يسبق لروبرت ان ضمها بهذا الشكل، انه يوقظ في نفسها رغبة مدمرة...

واجتاحتها عاصفة من الحب المجنون العاصف، فنسيت كل شيء وعانقته بدون خجل ولا تحفظ واستجابت للذة اللحظات.

لكن روبرت تركها فجأة وجلس، واسند رأسه على ركبتيه، وادركت صوفي انه لو لم يتمالك روبرت نفسه، لما استطاعت ان ترفض الاستسلام له، كم يحترمها! وإلا لكان استغل الفرصة واعتدى على براءتها! فهذا يكلفه جهداً كبيراً...

جلست بقربه واحاطت كتفيه بذراعها، للحظة همَّ روبرت بان يدفعها عنه، لكنه ضمها الى صدره.

«احبك، روبرت انا آسفة، لا استطيع ان امنع نفسي عن حبك».

فاحنى رأسه وقبل كتفها.

«سامحيني، صوفي... انا ايضاً احبك، وهذا ما يخيفني...».

«أوه روبرت! لا تكن حزيناً! هذا رائع جداً».

فابتعد عنها بحزم، ونفض الاعشاب عن ملابسه.

«تعالي» قال وهو يمسك يدها «نحن بحاجة للضوء والموسيقى للحركة حولنا... هذا المكان معزول...».

تناولا العشاء في المطعم الذي كلمها عنه، وكان الجو هادئاً ورومنسياً، لم يسبق لصوفي ان شعرت بمثل هذه السعادة، وكانت الخمرة قد دارت في رأسها، فلم تعد تهتم لتنورتها العادية وسط اناقة زبائن هذا المطعم، على كل حال، لم يكن روبرت يرى غيرها... ووجهها كان مشرقاً بالسعادة.

ولكن عندما عادا الى السيارة، شعور غريب بالحزن امتزج بفرحها، وكانا اثناء تناول العشاء، تكلما باشياء

كثيرة، دون ان يثيرا ولو لمرة واحدة ما حصل بينهما على ضفة النهر، وكانت صوفي تحترق من الرغبة في معرفة المزيد من مشاعر روبرت نحوها، وكان قد اعترف لها بحبه بتحفظ... وكأنه كان مرغماً... واثناء طريق العودة، كانت تنتظر منه ان يشير الى ذلك، لكنه لم يتطرأ لهذا ابداً، وعندما وصلا الى المنزل كانت سيارة آل باج متوقفة امام المنزل.

«كنت اعتقد انني لن اراهم!» قال روبرت بانزعاج.

«شكراً على هذه السهرة اللطيفة» قالت له بتوتر عندما امسك ذراعيها ليضمها اليه.

«لا تشكريني، صوفي» ودس وجهه في شعرها وتمتم وهو غير قادر على تمالك نفسه.

«صوفي، لو تعلمين كم ارغب بك... كيف ساتمكن من نسيانك الآن؟» ثم قبلها بحرارة، فاحست صوفي بالدوار وعانقته بدورها، لكن فجأة فتح باب المنزل واعماهما نور مصباح يد.

«ايها الوغد!» تمتم سيمون الذي فاجأها غاضباً «ألا يمكنك ان تتركها بسلام؟».

نزل روبرت في السيارة ببطء، ونزلت صوفي مرعوبة، انهما سيتقاتلان، لا يمكنهما تجنب ذلك...

«سيمون، ارجوك...» توسلت اليه وهي تمسك يده.

«ادخلي الى المنزل، صوفي لا تتدخلي في هذه المسألة، هذه مسألة بيني وبين روبرت فقط».

«لا!» وتوسلت لروبرت بنظراتها.

«انت تريدها، سيمون» قال له روبرت بحدة.

«آه نعم؟ ماذا اذاً؟ امرأة واحدة تكفيك! ايجب ان تستولي على امرأة غيرك!».

«انا لست امرأتك سيمون» قاطعته صوفي قد ارعبها عنف موقفه.

لكنه تجاهلها واضاف «على كل حال الوقت ليس مناسباً لتصفية حساباتنا. لديك زائرة، ليس آل باج طبعاً هم الذين يريدون ان يعرفوا اين اختفيت مع صوفي طوال السهرة، لا، لكن خطيبتك هنا، روبرت! نعم ايما! ألا يجب ان تدخل وتطمئنها؟».

احست صوفي بضعف قوي، وظل روبرت مسمراً مكانه لحظة كالمشلول، ثم ترك صوفي ترتجف قرب السيارة ودخل الى المنزل، اقترب سيمون منها واحاط كتفيها بذراعه ليساعدها على السير، لأنها لم تعد قادرة على الوقوف.

«مسكينة انت، صوفي انت تتألمين، اليس كذلك؟».

«لا... ساتحسن بعد قليل، لا بد انني اكلت شيئاً صعب الهضم...».

«لا تكوني سخيفة، صوفي ارجوك» صرخ غاضباً «انا اعرف جيداً سبب ألمك، كنت تجهلين خطوبة روبرت، اليس؟ انه لم يخبرك! يا له من وغد سافل! مع ان والدك ارسله ليرافقك من محطة القطار، ليخبرك بالحقيقة، لكن يبدو انه نسي ذلك».

«سيمون ارجوك...» وكادت تقع على الارض.

«اتمنى ان اقتله بيدي هاتين».

«سيمون، انا متعبة جداً...».

«اخي الكبير! الذي كنت دائماً احترمه... واعتبره مثالاً... لكن هذا الوحش المخادع غير قادر على تمالك نفسه...».

وكانا قد دخلا من باب المطبخ وساعدها سيمون بالصعود حتى باب غرفتها، وفجأة قاطعته والدته.

«سيمون!».

احمر وجهه والتفت نحو والدته.

«انزل الى الاسفل، سيمون فيكي تنتظرك لتقول لك وداعاً».

ففتح فمه ليعترض لكنه غير رأيه عندما رأى صوفي الشاحبة، فخرج من الغرفة وصفق الباب وراءه بعنف.

اقتربت لورا من صوفي وساعدتها على ارتداء قميص نومها، ثم تمددت الفتاة في سريرها وانتظرت بقلق تعليقات الوالدة.

«كيف تشعرين صوفي؟» سألتها بلطف.

«انا بخير، شكراً» اجابتها بصوت مرتجف.

«حقاً؟ عزيزتي المسكينة، كنا نريد بأي ثمن ان نجنبك العذاب».

«لست افهم... عما تتكلمين».

«ولكن بلى، صوفي لقد سمعت حديثك مع سيمون وانا اصعد السلم، روبرت لم يقل لك شيئاً، اليس كذلك؟ كان يجب ان افهم ذلك، كنت تبدين سعيدة لخروجك معه،

عند الظهر... كم انا نادمة لأنني لم استمع لوالدك! كان يريد ان يمنعك من الخروج معه، ولكني لم اشك بانه... ولكن انت علمت، الآن ايما هنا لقضاء بضعة ايام، سيعود روبرت الى كمتريت الاسبوع القادم، ولكنها ستبقى معنا وحدها، انهما سيتزوجان قبل نهاية العام.

كانت صوفي تعتقد انها في قمة عذابها، ولكنها كانت مخطئة، امام هذا الخبر، احست بانها تلقت ضربة قوية على قلبها فأجهشت بالبكاء، ولم تعد تهتم لوجود لورا، فدست وجهها بالوسادة.

«أوه، صوفي! لم اكن اقصد ان اؤلمك، ولكن كان يجب ان تعرفي! ومن الطبيعي ان يفكر روبرت بالاستقرار وبتأسيس عائلة، ايما...».

«انه لا يحبها! انه يحبني انا...».

«بالتأكيد يا عزيزتي، لكن هذا مختلف، انه يحبك كأخته...».

«لا، لا، انت مخطئة، انه يحبني... حقاً!».

«كفى، صوفي يجب ان تسيطري على نفسك، انت تزيدين من آلامك، فكري بايما، ماذا ستقول اذا سمعتك!».

«لا تهمني ايما!».

«هذا ليس لطيفاً، صوفي انها... ستصبح زوجة اخيك، ويجب ان تكوني سعيدة لسعادة روبرت، فكري كم سيكون هذا جميلاً عندما تكبر عائلتنا الصغيرة...».

لم يعد بامكان صوفي سماع المزيد، فصرخت ووضعت

اصابعها باذنيها.

«اسمعي، صوفي... حتى الآن كنت انا صبورة معك، حاولت ان اتفهمك، ولكن انانيتك لا تطاق، ساتركك الآن، وستتكلم بهذا الموضوع عندما تهدأين» واتجهت نحو الباب، وعادت فاضافت «ولكن ارجوك لا تتفوهي بأية كلمة امام ايما، ولا تحاولي زرع الفتنة بينها وبين روبرت».

وعندما لم تجبها صوفي، فتحت الوالدة الباب وصرخت.

«روبرت! ماذا تفعل هنا؟».

توقفت صوفي عن البكاء واطرقت السمع.

«جئت بحثاً عنك، آل باج سيرحلون، وهم بانتظارك في الاسفل، اين صوفي؟».

ثم لمح وجه صوفي الشاحب ودموعها، فحاول الدخول لكن والدته منعته. فحاول ان يبعد والدته ويدخل، إلا ان والدته صفعته بقوة لاول مرة في حياتها.

«امنعك من الاقتراب منها» امرته بحدة «لقد تسببت لها بالكثير حتى الآن، ألا تدرك ذلك؟».

نظر روبرت الى صوفي، وقست ملامح وجهه فجأة.

«ماذا حصل؟».

«انها تعاني من الصداع، ويجب ان ترتاح» اجابته والدته.

«اريد ان اكلمها» قال باصرار.

«لا، روبرت ارجوك...».

«صوفي» قال لها روبرت وهو لا يزال امام الباب «قولي لي شيئاً ارجوك!».

«اغرب عن وجهي!» صرخت وهي تبكي «لا اريد رؤيتك، دعني بسلام!» وخبأت وجهها في الوسادة وسمعت الباب يغلق بهدوء.

استيقظت صوفي في اليوم التالي مع بزوغ الفجر، وكان رأسها يؤلمها كثيراً، فنهضت لتتناول حبتين من الاسبرين، ولكن ذكريات الامس كانت لا تزال تعذبها، فعادت الى السرير وخبأت وجهها بين يديها.

لم يعد موقف روبرت يدهشها الآن! لقد اتضح كل شيء... ولكن كيف تجرأ على ان يكلمها عن الحب؟ هل كان ذلك فقط بدافع الشعور بالذنب تجاهها؟.

- ٥ -

رفعت رأسها وخافت من صورتها امام المرآة. لقد ذبل جمالها وشحب وجهها... كيف ستتمكن من مواجهة الآخرين بهذه الحالة؟ كما وانها لا ترغب بلقاء ايما، ابداً لن تتحمل رؤيتهما معاً هي وروبرت... هذه الفكرة وحدها تحطم قلبها. لا بد انه يحبها، طالما انه ينوي الزواج منها... لا يوجد سبب آخر... فعائلتها ليست غنية ولا صاحبة نفوذ... طبعاً هي جميلة وانيقة، ولكن ليس اجمل من صديقاته الأخريات! كيف ستتمكن من الاستمرار بالعيش وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن حياتها كلها لم تنهار؟.

لن تخرج ابداً من هذه المأساة. وروبرت يدرك ذلك، بالتأكيد... لماذا اراد باصرار ان يكلمها مساء امس؟ اكان

www.elromancia.com

يحاول مؤاساتها؟ واذا كان يفكر بفسخ خطوبته؟ كم من الاسئلة تجول في رأسها دون ان تجد لها اجابة... انها تشعر بالضعف ولن تتمكن من مقاومة عذاباتها.

وبعد حمام سريع، ارتدت بنطلون وقميص وسرحت شعرها ونزلت، لم يكن قد استيقظ احد في المنزل غيرها، فوضعت الماء على النار وفتحت ستائر الصالون، ثم جلست على الصوفا وحاولت ان تركز اهتمامها على قراءة إحدى الصحف، وتذكرت احد كتبها فصعدت الى غرفتها واحضرته، لكنها في الممر، توقفت قليلاً امام باب غرفة روبرت وترددت قليلاً ولم تقاوم رغبتها في استيضاح الموقف، وعندما فتحت الباب تفاجأت بوجود السرير فارغاً وكأنه لم ينم عليه ليلة امس.

فنظرت بغضب ويأس باتجاه غرفة الضيوف، حيث تنام ايما، وانقبض قلبها، لا بد ان روبرت قضى ليلته معها... فعادت ونزلت السلم وساقاها تترنحان، كيف استطاع ان يقوم بعمل مماثل؟، جلست في المطبخ تشرب كوب الشاي وهي تحاول ان تجمع افكارها، وفجأة فتح باب الحديقة فانتفضت بذعر عندما رأت روبرت امامها.

«انا آسف لأنني اخفتك، لم اكن اتوقع ان اجد احداً مستيقظاً في مثل هذه الساعة».

«اين... اين كنت؟» سألته متلعثمة بدهشة، وكان لا يزال يرتدي نفس ملابس الامس، وذقنه بدأت بالظهور، وقبل ان يجيبها، سكب لنفسه كوباً من الشاي.

«كنت في الخارج، وانت؟».

«لقد استيقظت لتوي».

«وهل نمت؟».

فهزت رأسها بالايجاب.

«اما انا فلم انم، تناقشت مع والدك حتى الساعة الثالثة صباحاً، ثم لم يعد بامكاني تحمل البقاء اكثر في هذا المنزل، فذهبت سيراً على الاقدام حتى هايت ابسدال».

«كل هذه المسافة؟ لا بد انك منهك!» صرخت بذهول، ثم ادركت انه لاحظ قلقها، فادارت وجهها بسرعة «عن... عن ماذا تكلمتما انت ووالدي؟».

«عن اشياء كثيرة».

«عني؟».

«وعنك ايضاً، نعم... الآن اعذريني ليس لدي الكثير من الوقت يجب ان استحم وابدل ملابسي قبل الرحيل».

«ماذا؟» صرخت بذعر ثم تنفست بعمق واضافت «لا... لا تعتقد انك مجبر على الرحيل بسبب، لقد تصرفت كطفلة غبية، مساء امس، ولكن هذا لن يتكرر ابداً، اعدك بذلك، لن اقبلك ابداً كن هادئاً».

«لا تكوني سخيفة، صوفي!» زمجر غاضباً، ثم خرج من المطبخ وتركها وحدها تتساءل عن معنى رحيله، لماذا لا يشرح لها بوضوح؟ وخطيبته؟ ما هو موقفها من كل هذا؟.

وندمت لأنها لجأت الى سريرها واستسلمت للتعب، بدل ان تشارك في ذلك النقاش العائلي، هل تخاصم والدها معه؟ هل رماه خارجاً؟ واذا رفض العودة مجدداً الى

المنزل؟.

واخذت تروح وتجيء والقلق والشك يلتهمانها، هذا التطور المفاجيء قضى على كل أمل لديها... ولكن كل ما يهمها الآن هو وضع روبرت، لا تريد بأي ثمن ان تكون هي المسؤولة عن اي شرخ في عائلتها، كانوا دائماً متماسكين وعلى علاقة متينة... ماذا يمكنها ان تفعل؟ لقد سبق وحاولت الاعتذار من روبرت، لكن على عكس ما كانت تأمل، هذا ازاد من غضبه. كان من الافضل لو حلّفته بحب أمه كي يعود عن قراره! ولكنه يبدو مصمماً... وهي تشك بامكانيتها من جعله يغير قراره...

فاجأتها الوالدة وهي تائهة في افكارها.

«صباح الخير صوفي، كيف حالك اليوم؟ والدك لا يزال نائماً، لم اجد الشجاعة لايقاظه».

«لقد رأيت روبرت، منذ لحظات، سيرحل...».

«نعم، لقد اخبرني بذلك الآن» اجابتها الوالدة ورمت نفسها على الكرسي.

«هل شرب الشاي؟».

«نعم» وجلست صوفي بقربها.

«ساعة الفطور، هل انت جائعة؟».

«لا».

«ولا انا ايضاً، ايريد روبرت ان يتناول شيئاً؟».

«لست ادري...» ثم عضت على شفتها وسألتها بخجل وتردد «الى اين سيذهب؟».

«الى شقته في لندن، ثم سيتوجه الى كيمتريت صباح

الاثنين».

«ولكن لماذا؟ اعترضت صوفي مستبقة الاحداث «ايما هنا، على كل حال!».

انه لم ينسها بالتأكيد» ثم هزت رأسها واضافت «انا اجهل ما يدور في رأس ولدي! يا إلهي! لم اكن اتصوره بهذا الشكل!».

«ماذا تقصدين، يا امي؟ ماذا حصل مساء امس؟».

«لا شيء خطير، صوفي كل شيء سينتهي جيداً، على كل حال، لا يجب ان تعلم ايما بشيء، روبرت بكل بساطة استدعي لحالة طارئة في العمل، قبل يومين من الموعد المحدد لعودته. هل هذا واضح؟».

اكفهر وجه صوفي، بالنسبة للورا يهمها اولاً انقاذ المظاهر، مهما كلف الامر... ودوافع روبرت ليس لها اية اهمية في هذا كله...

ولكن هو، ما هو رأيه؟ ماذا يخفي خلف رحيله المفاجيء؟ هذا يشبه الهرب... احنت صوفي كتفيها وشعرت بالضعف والعجز التام، قد لا تعلم بالحقيقة ابداً... لو اراد روبرت ان يخبرها، لفعل، كانت الفرصة امامه سانحة منذ قليل، لكنه تخلى عنها، قد يكون من المحتمل انه لا يهتم لها، وخاف ان يعترف لها... من المؤكد ان شجاراً وقع هذه الليلة، وهو سيرحل خوفاً من ان يضطر لتحمل النتائج. ولكن بعد ايام ستعود الامور الى مجاريها، وسيحدد موعد زواجه...

اسرعت صوفي الى غرفتها وهي تحس بقلبها يتمزق،

فالتقت بروبرت على السلم، وكان قد ارتدى بنطلوناً بنياً وقميصاً باج، ورغم اثار السهر حول عيونه، كان يبدو قد استعاد قوته وثقته العادية بنفسه، وتظهر على وجهه ملامح الشخصية القوية، من اين اتى بكل هذه الطاقة؟.

«اين هي امي؟» سألها بجفاف.

«في المطبخ، روبرت... روبرت، لماذا انت راحل؟ انا... لا ترحل، اذا كان هذا فقط بسببي» توسلت اليه.

فتوقف وتأملها قليلاً بقسوة.

«توقف عن لوم نفسك!» امرها بحدة «لدي عمل مستعجل في لندن، هذا كل شيء».

«و... بالامس...».

«من الافضل ان تنسي هذه الفترة» نصحها بحزم.

تجمد الدم في عروقها فجأة، وكانت تغذي احلاماً في قلبها، بالكاد تجرأ على تشكيلها، روبرت يتهرب لانه لا يتحمل هذا الموقف المتوتر، هذا ما كانت تأمل به، كيف يمكنه ان يلعب دور العاشق امام خطيبته، بينما هو يحبها هي؟ بدون شك هو بحاجة للهدوء كي يفكر بافضل طريقة للاعتراف بالحقيقة لايما، وليرتبط بها، هي.... لكنها كانت مخطئة، لم تكن ظنونها صحيحة مع الأسف...

جملة واحدة كانت كافية لتدمير كل اوهامها «النسيان» وكأن هذا ممكن... الم يدرك لاية درجة تحبه؟.

«ارجوك صوفي! حباً بالسماء، لا تنظري الي هكذا! هذا من اجل مصلحتك انت، لا تضيعي وقتك معي!» ثم تركها ودخل الى المطبخ.

نزلت ايما الوحيدة على ما يبدو التي نامت جيداً هذه الليلة، بعد رحيل روبرت بساعتين، ودون ان تشك بالاجواء الملبدة في سماء المنزل.

كانت لورا تشرب فنجان القهوة في المطبخ مع صوفي، وقد تجنبت الكلام عن اي شيء شخصي، عندما مدت ايما رأسها من خلال الباب.

«اشعر بالخجل لأنني لم استيقظ باكراً، سيدة كمبل، ستقولين عني بانني كسولة! ولكن اسّرة منزلك مريحة جداً!».

«ادخلي ايما، ارجوك».

التقت نظرات صوفي بنظرات الوالدة القلقة، ثم التفتت نحو ايما، لم تكن هذه الفتاة قد تغيرت، لا تزال ترعبها نظراتها وابتسامتها المصطنعة. وكانت ترتدي ثوباً قطنياً ضيقاً، وقد رفعت شعرها كله الى الاعلى، وتبدو كفتاة صغيرة، لكن صوفي لن تنخدع بمظهرها ابداً... فاخفضت نظرها وادركت ان الغيرة والحذر قد يتوهانها في بحر تغرق فيه وحدها...

«صباح الخير، صوفي» قالت لها ايما بينما نهضت لورا لتعد القهوة «انا آسفة لتوعكك مساء امس، هل تشعرين بتحسن؟».

«نعم، شكراً لك» اجابتها صوفي بأدب ولطف.

«لا بد انك اصبت بعسر هضم» قالت ايما وهي تجلس بقربها «كم احب هذا المنزل القديم! لقد قلت لروبي مراراً...».

عند سماعها هذا الاسم، تقلصت يدا صوفي على مقعدها، باستثناء افراد العائلة، لم يكن احد يناديه بهذا الاسم...

«عندما ستتزوج، سنشتري منزلاً في الريف نقضي فيه اجازاتنا سيدة كمبل» اضافت ايما «وقد نقرر ان نقيم في كوونتث، ولما لا؟ منذ ان فقدت والدي، وانا اتمنى ان اعيش الحياة العائلية الكاملة».

رمقت لورا صوفي من جديد بنظرة تحذيرية ثم التفتت نحو ايما.

«سنكون سعيدين لاجلكما...».

«ولكن اين روبي؟ ألا يزال نائماً؟».

«لقد خرج» اجابتها لورا بهدوء.

«خرج؟» رددت ايما بدهشة.

«لا... لقد طلبوه الى بلاد الغال لحالة طارئة كي يجدوا حلاً لبعض المشاكل قبل بداية العمل في الورشة، وبما انك كنت لا تزالين نائمة...».

«آه حسناً» قالت ايما ببساطة دون ان تظهر اي انزعاج «متى سيعود؟».

هزت السيدة لورا رأسها.

«لن تريه خلال اقامتك هنا، اخشى ذلك، ولكننا سنحاول ان نجعل اقامتك هنا جميلة».

«انا متأكدة من ذلك، سيدة كمبل، لا ازال احتفظ بذكرى رائعة عن زيارتي الماضية لكم، طبعاً، كان بودي ان يبق روبي هنا... ولكن لا بأس، كنا نرى بعضنا كثيراً

في الايام الاخيرة» اضافت وهي تنظر بطرف عينها الى صوفي، اذاً هكذا كان روبرت يقضي ايامه... في لندن! وشعرت صوفي بالخيبة والألم بينما تابعت لورا المحادثة بلهجة طبيعية.

«بالتأكيد، كنت متأكدة من تفهمك، انت لطيفة وتتقبلين الامور بسهولة ايما».

لم يعد بامكان صوفي تحمل المزيد، فنهضت فجأة وقالت «ساقوم بنزهة قصيرة، الطقس جميل اليوم...».

«سارافقك!» قالت ايما على الفور «امنحيني فقط بضعة دقائق».

فرمقت لورا صوفي بنظرة مليئة بالمعاني، فلم تجرؤ الفتاة على الرفض...

«حسناً، سانتظرك في الحديقة» وخرجت تتنشق الهواء المنعش، لكنها لم تتمكن من السيطرة على توترها.

«صوفي، صوفي!».

التفتت صوفي الى الخلف عندما سمعت هذا الصوت الذكري، فرأت شاباً صغيراً يرتدي شورت وبلوزة بيضاء، ويحمل ركيت التنس بيده.

«ألا تزالين تذكرينني؟» سألها وهو يتأملها دون ان يخفي اعجابه.

«بالتأكيد، نعم» اكدت له مبتسمة «صباح الخير، غراهام».

«جئت لادعوك للعب التنس، كان يجب ان ازورك الاسبوع الماضي، ولكني كنت مريضاً».

«انا آسفة، غراهام، ولكنني وعدت ايما بمرافقتها بنزهة».

«ايما، خطيبة روبرت؟ انا اعرفها اختي وجون ميرديت وهما...».

«اعلم» قاطعته بسرعة كي لا تستمع الى كلام يزيد من كآبتها وبينما كانت تقترب منهما، خطرت ببالها فكرة.

«بما ان غراهام هنا، لنعلب التنس» اقترحت صوفي كي تتجنب الوجود وجهاً لوجه مع ايما.

«لكنني لا العب جيداً» ترددت ايما.

«ولا انا!» قالت صوفي مع انها بارعة في هذه اللعبة، وقررت ان تثبت لها انها لا تعرف اللعب.

وبالفعل، جعلت ايما تغلبها، ولاحظ غراهام خطتها، وتأكد من حيلتها عندما اختفت وتركته يتابع اللعب مع ايما... لجأت صوفي الى غرفتها، وكانت تشعر بالتوتر والعصبية، ولا تبدو لها الاسابيع القادمة سهلة...

في الايام التالية، نجحت صوفي في تجنب ايما دون صعوبة وكانت كل يوم تذهب مع والدها الى العيادة والمستوصف، بينما اضطر سيمون للترفيه عن هذه الضيفة الثقيلة الظل، ولكن هذا اليوم، فاجأها سيمون في غرفة الطعام.

«انت تتهربين مني، صوفي؟».

«لا، ابداً سيمون! ما هذه الفكرة الغريبة!».

«انا لا اراك تقريباً...».

«انت... مشغول جداً مع ايما».

«هذا يناسبك، اليس كذلك؟» ووقف امامها وقطع عليها الطريق الى المطبخ.

«أوه، صوفي انت غاضبة مني!».

«ولكن لا، سيمون لا تتفوه بالحماقات! دعني امر، الآن» لكن سيمون لم يتحرك.

«لماذا انت غاضبة؟ لأنني كشفت لك عن الحقيقة؟ اكنت تفضلين الاستمرار بتجاهلها؟».

«افضل ان لا نتكلم بهذا الموضوع...».

«يجب ان تقرري مواجهة الواقع، آجلاً ام عاجلاً».

«سيمون، دعني امر! يجب ان ارتب المائدة».

«لا تهمني المائدة! صوفي» توسل لها بحزن «كيف يمكنني مساعدتك؟».

«سيمون، انا...».

«آه، انت هنا سيمون! كنت ابحث عنك لاريك هذه الصور».

غضب سيمون من مقاطعة ايما لهما، وتمتم بكلمات غير مفهومة وانضم اليها، وفي اللحظة التي همت فيها صوفي للخروج، نادتها ايما.

«تعالي وانظري، صوفي! هذه الصور التقطناها انا وروبي في شهر نيسان في البرتغال، انها ناجحة، اليس كذلك؟».

ارتبكت صوفي، وتقلص نظراتها، لم تكن تعلم بزيارة ايما الى البرتغال، حيث عمل روبرت لشهرين، ولكن ما المدهش في ذلك؟ بالنسبة لموضوع ايما، كان دائماً يتركها

في جهل تام...

انقبض قلبها وهي تنظر الى هذه الصور على شاطىء ايستوريل، في مطعم يطل على البحر... وبجهد كبير، تمكنت في التلفظ ببعض كلمات المجاملة بأدب، ثم اعتذرت ولجأت الى المطبخ.

وبعد الظهر، كانت تتمدد في سريرها، عندما دخل سيمون فجأة الى غرفتها ودون ان يقرع الباب.

«لماذا تحبسين نفسك؟ الطقس جميل في الخارج».

«اذاً اخرج وتنزه» اجابته بحدة.

«تقام حفلة راقصة، هذا المساء، في كونتنث، والاوركسترا جاءت من ليفربول. اترغبين بالذهاب؟».

«لا شكراً».

«صوفي!».

«اصطحب ايما، ستكون سعيدة...».

«لا تكوني فظة معي، صوفي، كما وان ايما سبق وتلقت دعوة لهذه الحفلة من جون ميرديت وخطيبته».

«لاحظ لديك!».

«توقفي عن تعذيبي بهذه السخرية، ايما لا تهمني، انت تعرفين ذلك، على كل حال انا لن اخاطر بالتعدي على حقوق روبرت...».

ارتعشت صوفي امام هذا الكلام الجارح، وندم سيمون فوراً على تلميحاته هذه.

«سامحيني، صوفي لو سمحت، رافقيني هذا المساء...».

«اطلب من فيكي مرافقتك».

«لا... ماذا يجب ان افعل، صوفي كي اعبر خطوط الدفاع التي تنصبيها حولك؟ انا لست صنماً حجرياً، ولكنني حساس وشفاف، حتى اذا كنت ترفضين الاعتراف بذلك».

«سامحني، سيمون... انا... حسناً، موافقة».

«أوه، صوفي!» تمتم بصوت منخفض ثم اقترب منها وطبع قبلة خاطفة على شفتيها.

تأثرت صوفي فجأة بحزنه، ولم تعترض عندما قبلها قبلة ثانية اطول من الاولى، لكنها قالت بحزم.

«اذهب، الآن سيمون، ستغضب والدتك كثيراً اذا وجدتك هنا...».

«هذا لا يهمني...».

«حسناً، اما انا فبلى، متى سنذهب الى السهرة؟».

«في الساعة الثامنة، وسيأتي جون وجوانا لاصطحاب ايما».

«حسناً» وابتسمت له، فخرج مسروراً، بينما ظلت وحدها، وندمت لأنها لم تصر على الرفض، ليس من العدل ان تغذي اوهام سيمون...

انتظرت صوفي خروج ايما لتنزل من غرفتها، وكانت والدتها قد اهدتها قبل اسبوع، فستانين طويلين، وهنأت نفسها الآن لأنها قبلت هذه الهدية، فارتدت لهذه السهرة الثوب الاخضر الذي يزيد من جمال بشرتها ويجعلها تبدو اكبر سناً.

كان والداها قد ترددا قليلاً قبل السماح بالخروج مع سيمون، مع انهما كانا سعيدين برؤيتها قد تحسنت قليلاً، واعتقدا انها بغاية الشوق للترفيه عن نفسها.

ذهل سيمون بجمالها واسعدت اطراءاته قلب الفتاة. وبنفس الوقت كانت تخشى ان تعجبه كثيراً... كانت السهرة في اوجها عندما وصلا. وهذا النوع من السهرات لا يمتد الى ما بعد منتصف الليل، فلهذا السبب تبدأ باكراً، وكانت الصالة واسعة، وقد وضعت فيها شرفة للاوركسترا وامتدت البوفيه في الناحية الاخرى، وكما كانت صوفي تخشى، وجدا نفسيهما رغماً عنهما ينضمان الى مجموعة جون وجوانا وايما، ولكن هذا لم يزعجها كثيراً، لأن سيمون احتكرها في كل الرقصات، ومع ذلك نجح جون في دعوتها للرقص، وبما ان جوانا لم تكن حرة، فالتفت سيمون نحو ايما، بعد نظرة عتبا نحو صوفي، توقفت الاوركسترا، وحل مكانها ديسكات لقطع موسيقية هادئة. فاقترب جون واسند خده على خدها.

«هكذا افضل، اليس كذلك؟» همس باذنها وهو يداعب شعرها بشفتيه.

«قف جيداً، سيد ميرديت» قالت له بجفاف «ماذا ستظن خطيبتك؟».

«انت رومنسية، آنسة كمبل» اجابها مبتسماً دون ان يعدل وضعه.

«يبدو انك شربت كثيراً» قالت له وهي تتراجع قليلاً.

«للخمر تأثير جيد علي، يجعلني ارى جمالك بطريقة

افضل...».

حاولت صوفي ان تغير الموضوع.

«لم يسبق لي رأيت حفلاً يضم كل هذا العدد من الناس...».

لكنه تجاهل كلامها وتابع «هل قال لك سيمون كم انت رائعة؟ ثوبك مناسب جداً لك...» ثم سكت قليلاً وسألها فجأة «اتريدين تناول العشاء معي مساء غد؟».

«بالتأكيد لا!».

«لماذا؟».

«لا استطيع» اجابته بجفاف.

«بسبب جوانا؟».

«انت تخون ثقة خطيبتك».

«يا له من تعبير!».

«لكنها الحقيقة».

«على كل حال، هذه المشكلة لا تعنيك، انا فقط من سيتحمل مسؤولية ذلك».

«على كل حال، انا ارفض».

«اتخافين من ردة فعل والديك؟... ام من ردة فعل روبرت؟».

«ماذا تقصد؟».

«ارجوك، صوفي الكل على علم... لا تتظاهري بالسذاجة».

«ولكنني حقاً لا افهم، اشرح كلامك».

«لا ترغميني على تقبيلك» ثم هز رأسه واضاف «مغرمة

www.elromancia.com

بروبرت ومنذ سنوات، هذا ليس سراً، كما وان و الديكما ارسلاك الى المدرسة الداخلية فور ادراكهم لحقيقة عواطفك».

شحب وجه صوفي واخذت ترتجف.

«ارى ذلك... شكراً لانك اخبرتني».

«هيا، صوفي» صرخ جون وقد ندم على ارباكها بهذا الشكل «انا ابالغ بعض الشيء...».

«هل تكلمت مع روبرت بهذا الموضوع؟».

«بالتأكيد لا! انه كتوم بالنسبة لهذا النوع من المشاكل، انت تعرفين ذلك، هيا صوفي، لنخرج قليلاً الجو هنا خانق».

ترددت قليلاً، ثم وافقت، كان الغضب يخنقها، وهي حقاً تحتاج للهواء المنعش. واذا رأتها جوانا برفقة جون؟ لم يعد يهمها ذلك، لأن جوانا لم تنجح في حصر انتباه خطيبها بها.

«بماذا تفكرين؟» سألها وهو يضع اصبعه على حاجبيها المعقودين «هل انت غاضبة مني؟».

«لا، كنت افكر بـ... جوانا، انت تحبها؟».

«نعم اعتقد ذلك» وهز كتفيه.

«بهذه الحالة، لماذا تريد الخروج معي؟».

«حبي لجوانا لا يعميني عن رؤية جمال بقية النساء... أوه، صوفي اقبلي دعوتي ارجوك».

«سافكر بذلك».

«سامر لاصطحابك في الساعة السابعة غداً».

«سيكون والدي على علم» حذرته مبتسمة.

«لا بأس!».

«يبدو انك واثق جداً من جوانا».

«نعم ولكنني لا اعلم اذا كان بامكاني ان اثق بك انت...».

بهذه اللحظة، ظهر سيمون وجوانا بحثاً عنهما.

«جون» نادته خطيبته ورمقت صوفي بنظرات الشك والحذر «ماذا تفعل هنا، كنت اعتقد انك ترقص».

«رغبنا بتنشق الهواء» اجابها جون بهدوء.

حاولت جوانا ان تخفي امتعاضها، وسألت صوفي بلهجة مرحة «جون ثمل قليلاً، اخشى ذلك، هل حاول التحرش بك؟».

«أوه لا» وابتسمت صوفي بسخرية «للحقيقة كنا نتكلم عنك».

ثم تركتهم وعادت الى الصالون، فأمسك سيمون بالداخل بحزم بذراعها، ونظر اليها بقسوة.

«حسناً، صوفي اية لعبة تلعبين؟».

«انا لا افهم» اجابته دون ان تنظر اليه.

«ولكن بلى، ضعي نفسك مكان جوانا!».

«للحقيقة، هي لا تهمني ابداً».

«ماذا جرى لك صوفي؟ لا تبدين بحالتك الطبيعية».

«حقاً؟» ورفعت رأسها نحوه بتحدي «كنت تعلم لماذا ارسلوني الى المدرسة الداخلية اليس كذلك؟».

فنظر اليها بدهشة وحيرة.

«لا بد انك كنت تعلم» اضافت بسرعة.

«من روى لك كل ذلك؟» سألها بصوت منخفض وهو يتلفت حوله ليتأكد ان احداً لا يسمعهما.

«جون».

«جون؟ ماذا يعرف هو عن هذه القصة؟».

«كل شيء، على ما يبدو».

«كان من الافضل ان يسكت!».

«على كل حال، انت كنت على علم» قالت له بحدة.

«لماذا نعود الى الماضي؟» وتنهد بألم «لا فائدة لكل هذا الآن».

«انا لست من هذا الرأي» اعترضت وابتعدت عنه بسرعة.

«لست افهم اسباب غضبك...».

«حياتي الخاصة لا تعني احداً، لقد بالغوا كثيراً عندما اعتقدوا ان بامكانهم....».

«انت مخطئة، صوفي هذه القصة لم تخرج من العائلة، واذا ادعى ميرديت شيئاً من هذا النوع، حسناً... انه كذاب مخادع!».

«أوه... انه لم يقل ذلك باللفظ المحدد، أوه... لننس الامر سيمون، هيا بنا نرقص، لقد عادا وانا بمزاج متوتر!».

«اذاً قبليني» قال وهو يضمها اليه «هذا سيبدد كل سوء تفاهم وكل شك بما يختص بك وبروبرت».

رفضت صوفي ودفعته عنها بلطف.

«لا، سيمون انا احترمك كثيراً ولدرجة لا يمكنني استغلالك».

في نهاية السهرة ظهر المحترم ايفنز الذي يحترمه الجميع في المنطقة. واقترب من سيمون وسأله «ايمكنك ان تشترك معنا، سيمون في الحفلة التي سنقيمها للسيدة تاران قبل رحيلها الى اليونان؟».

«حسناً، ولكني احذرك، ايها المحترم، انا لست مرتلاً محترفاً!».

«السيدة تاران؟» تدخلت صوفي بفضول «البروفسيرة في التاريخ القديم؟».

«نعم، هاربت تاران، اتعرفينها؟».

«أوه لا، ولكني قرأت عن ابحاثها، التاريخ الاغريقي يستهويني كثيراً».

«اتحبين التعرف عليها شخصياً؟» سألها المحترم وقد تحمس لحماسها.

«اتمنى ذلك!».

«تعالي معي، ساعرفك عليها» واتجه الثلاثة الى مجموعة صغيرة في احدى الزوايا.

«هاربت!» ناداها السيد ايفنز «هذه الفتاة تحلم بالتعرف عليك».

كانت السيدة هاربت متوسطة العمر، مشرقة الوجه، فمدت يدها نحو صوفي، وبعد التعريفات صرخت السيدة هاربت بفرح.

«من الجميل ان نتعرف على فتاة في مثل سنك تهتم

بالتاريخ اليوناني القديم! في ايامنا هذه الشبان لا يحبون الدراسات التقليدية، يفضلون تعلم اللغات الحية، الفرنسية، الالمانية... مع الأسف! حتى دراسة اللاتينية لا تلقى اي اقبال».

«انا لا اجيد اللاتينية كثيراً» قالت صوفي مبتسمة.

«المهم انك تحبين التاريخ اليوناني، هل الفكر اليوناني يهمك؟».

«يستهويني!».

فكرت السيدة تاران قليلاً ثم سألتها فجأة.

«هل تبحثين عن عمل؟».

ترددت صوفي، وسبقها سيمون الى القول.

«صوفي ستدخل الجامعة في بداية العام الدراسي».

«آه، حسناً... ماذا ستفعلين في هذه الفترة؟».

«انا... انا لم افكر بذلك حتى الآن».

«حسناً، يجب ان تفكري!» نصحتها هاربت بحيوية «اذا كنت ترغبين، انا مستعدة لاقدم لك عملاً، انا بحاجة لمترجمة».

لم تعرف صوفي بماذا تجيبها، فسألت سيمون بنظراتها.

«لا... والد صوفي لن يوافق، سيدة تاران...».

«هذا لطف منك، سيدة تاران» قالت صوفي «شكراً لك».

«لا تشكريني، انت تبدين مثالية لهذا العمل».

«ما طبيعة هذا العمل بالتحديد؟» سألتها صوفي بخجل.

«في البداية يجب ان توافقي على السفر الى اليونان،

افضل ان اعمل في نفس الجو، لدي هناك باحثين يجمعان لي الوثائق الضرورية عندما اقوم ببعض المحاضرات هنا. ومن الضروري قراءة كل ذلك وتلخيصه وترجمة بعضه الى الانكليزية، وطبع الرسائل...».

«انا لا اعرف الطباعة على الآلة الكاتبة!».

«هذا سهل جداً، انا لست بحاجة لسكرتيرة صوفي، لا تهمني السرعة، انا ابحث عن فتاة تتمتع باطلاع ادبي، وقادرة على نقد النصوص، وتعرف اللغة».

انه عرض مغر بالنسبة لصوفي، مع ان قلبها انقبض مسبقاً لفكرة الابتعاد عن روبرت... على كل حال، عاجلاً ام آجلاً سيرحل الى بلد بعيد من اجل عمله، وسيصطحب ايما معه... ارتعشت لهذه الفكرة كيف سيمكنها تحمل هذه الوضع؟.

لاحظ سيمون شحوب وجهها، فاقترح.

«يجب ان نعود الى المنزل، صوفي تبدين متعبة».

«اذاً صوفي؟ ما رأيك بعرضي؟» الحت السيدة هاربت تاران.

«بامكان ان اترك لك بضعة ايام للتفكير، كي تتناقشي مع والديك».

«هذا المشروع يعجبني» قالت صوفي متجاهلة نظرات سيمون «ايمكنني الاتصال بك عندما اتخذ قراري؟».

«طبعاً» وناولتها بطاقة الزيارة وشدت على يدها بحرارة، وما ان ابتعدا بضعة خطوات، حتى انفجر سيمون غاضباً.

«لماذا لم ترفضي عرضها بصراحة؟ لا يمكنك قبول هذا

العمل، وانت تعلمين ذلك».

«لماذا؟».

«لا اريد!» صرخ غاضباً «يا إلهي! لقد سبق وتعذبت كثيراً عندما روبرت...» ثم سكت قليلاً واضاف «ساكون حزيناً جداً صوفي، اذا رحلت...».

«أوه سيمون انا اكره هذا الكلام».

«كما وان والدك لن يوافق».

«لست متأكدة من ذلك، اليست هذه الفرصة المناسبة لابعادي عن روبرت؟».

«روبرت!» ردد سيمون باشمئزاز.

«لنعد الى المنزل» قالت له بانزعاج لتوقف هذا النقاش.

وافق سيمون وهو يتنهد بيأس، ورأت صوفي مجموعة جون ميرديت، فتجنبتهم، لكن ايما رأتهما وامسكتهما امام الباب.

«سترحلان؟».

«نعم» اجابها سيمون.

«ساذهب معكما، لقد تسليت كثيراً هذا المساء، لكن بدون روبرت الامر مختلف».

انها ليست فكرة سيئة بالرحيل عن هذه المنطقة... قالت صوفي لنفسها في السيارة وهي تستمع لسخافات ايما المتواصلة.

اضطرت صوفي على كل حال ان تؤخر قرارها، فلقد استيقظت في اليوم التالي وهي تعاني من صداع قوي، وعند الظهر لم يعد بامكانها الوقوف على قدميها، فامرها

والدها بالنوم، وكانت حرارتها مرتفعة وامضت بقية الاسبوع كله في السرير بسبب كريب حاد.

رغم لطفه الشديد، كان سيمون مسروراً ببقائها في المنزل، وبقي برفقتها ساعات طويلة يثرثر ويقرأ لها في بعض المجلات، وكان جون ميرديت قد جاء في مساء اليوم التالي، كما كانا متفقين يصطحبها لتناول العشاء وشعر بخيبة عندما وجدها مريضة، ثم اخذ يرسل لها الازهار كل يوم، ولم يكن والدها راضياً عن هذه البادرة...

وفي اليوم، زارتها ايما في غرفتها قبل رحيلها، وقد رافقها سيمون بسيارته الى لندن، ولم تكن الفتاتان حتى الآن قد وجدتا فرصة للثرثرة معاً...

«اتمنى لك شفاءً عاجلاً، صوفي».

«شكراً لك ايما».

«لا بد انكم ستتأخرون في الذهاب الى برتاين قد ننضم اليكم وروبي لبضعة ايام».

ابتسامتها ازعجت صوفي، لكن من حسن الحظ انها راحلة.

«هل كانت اجازتك لطيفة؟».

«تقريباً، نعم... ولكن لا يوجد شيء يسلي في كوونتث...».

«بامكانك التنزه، ولعب الغولف والتنس...» قالت لها صوفي.

«انا لست رياضية».

«لا بد انك تفتقدين لحياة اللهو اللندنية، هناك لا

www.elromancia.com

يشعر المرء بالملل، على ما اظن، مع كل تلك المسارح ودور السينما والمطاعم.. وعندما يعيش المرء وحيداً، يكون بالتأكيد لديه متسع من الوقت لكل هذا».

«لكنني لا اعيش وحدي» اجابتها ايما بجفاف «وصحبة روبرت تكفيني، نحن لا نخرج كثيراً».

جف حلق صوفي، وشحب وجهها، فمررت يدها على جبينها بينما تابعت ايما بنفس اللهجة.

«بدون شك، كنت تفضلين تجاهل الحقيقة، انا لست عمياء، صوفي! ولا غبية! انا اعرف مشاعرك منذ مدة طويلة! من طريقة نظراتك اليه و...».

ايما! ايما... هل انت جاهزة؟» ناداها سيمون من الاسفل.

«انا قادمة، سيمون» اجابته ايما وعندما وصلت الى الباب التفتت من جديد واضافت بابتسامة وقحة.

«اشفي بسرعة، صوفي انت لن ترفضي ان تكوني فتاة الشرف في زفافي» ثم خرجت وظل صدى لكلماتها يرن طويلاً في اذني صوفي...

لم يفهم سيمون لماذا سبب رحيل ايما كل هذا الانهيار في نفسية صوفي، جسدياً خفت صوفي واستعادت قواها، وبم ان الطقس كان جميلاً، فقد امضت فترة النقاهة في الحديقة ممددة على كرسي طويل تستمع للراديو بشرود تام، وكثيراً ما وبخها سيمون على فقدانها للحيوية والطاقة، لكن الدكتور كمبل، قال بان هذه الراحة الطويلة ستفيدها.

ظهر جون ميرديت يوم الثلاثاء، وكانت لورا ستطرده

وتمنعه من الدخول لو لم يكن يحمل رسالة لصوفي من البروفسيرة هاربت.

ولم تكن صوفي قد كلمت والديها عن عرض البروفسيرة، لكن سيمون كان قد تناقش بالامر مع والدتها التي اعجبت بالفكرة لكنها تحفظت قبل ان تستشير زوجها وتسمع رأيه، وكانت تنتظر اللحظة المناسبة لتفتح معه هذا الموضوع، والفرصة لم تكن قد سنحت بعد.

بعد دخول جون مرديت الى الصالون، صعدت لورا الى غرفة الفتاة التي كانت تبدل ملابسها.

«جون هنا» قالت لورا «انه يحمل لك رسالة من البروفسيرة هاربت تاران».

- ٦ -

في الايام الاخيرة، كانت صوفي تتجنب التفكير بهذا المشروع، كانت بحالتها اليائسة، تخشى ان تتخذ قراراً من هذا النوع تندم عليه فيما بعد، والآن، لم يعد بامكانها المماطلة، يجب على الاقل ان تستشير السيدة لورا.

«لا بد انك تتساءلين كيف تعرفت عليها».

هزت السيدة لورا رأسها.

«للحقيقة، سيمون اخبرني بلقائك معها في تلك الحفلة».

«انت انت على علم باقتراحها؟».

«نعم، سيمون ليس متحمساً... وانت ما رأيك؟».

«لست ادري» اعترفت صوفي وهي تشعر بالحيرة «انا ارغب بالذهاب الى اليونان، ولكن... سأكون حزينة جداً بالرحيل عن المنزل...».

«انها فرصة» قالت لورا بتردد.

لماذا؟ رغبت صوفي بطرح هذا السؤال الذي يحرق شفتيها.

«انت محقة، بدون شك».

نهض جون لاستقبالها عندما نزلت وتأملها جيداً.

«لقد فقدت لون وجهك، صوفي ولكن هذا لم يؤثر على جمالك... على الاقل، كان لديك عذر جيد لتجنب موعدنا!» قال لها ممازحاً.

«كنت حقاً مريضة، انا آسفة».

«اذاً يجب ان نتفق على موعد آخر».

«اعتقد ان لديك رسالة لي».

«بالفعل، لقد تناولت السيدة تاران العشاء عندنا مساء امس، و... جاء اسمك خلال الحديث و...».

«والمحت الى نيتها باصطحابي معها الى اليونان كمترجمة...».

«الفكرة تبدو تعجبها، وانت؟ اتنوين القبول؟».

«لم اتخذ قراري بعد، هل هي مستعجلة على معرفة جوابي؟».

«لا، لقد ذهبت الى لندن هذا الصباح، ولن تعود قبل منتصف الاسبوع القادم، وبما انها لم تخبرك، طلبت مني ان اخبرك في حال اتصلت خلال فترة غيابها».

سرت صوفي بهذا الخبر، فهو يمنحها مزيداً من الوقت للتفكير.

«حسناً، لننتقل الى الاشياء المهمة» قال جون بعد ان

شرب القهوة «اتتناولين العشاء معي مساء غد؟».

«انت لا تضيع وقتك!».

«لا، انه ثمين جداً ويجب ان لا نضيعه».

«بالمناسبة، انا لم اشكرك على الأزهار الجميلة...».

«انا مسرور لانها اعجبتك».

«هزت صوفي رأسها ضاحكة، ولم تكن قد شعرت بمثل هذه الخفة منذ مدة طويلة، عندما فتح الباب فجأة خلفهما، التفتت بسرعة توقعت ان تلتقي بنظرات السيدة لورا المليئة بالعتاب واللوم، وكانت دهشتها كبيرة، عندما لاحظت وجه روبرت الصارم! اما جون فقد تفاجأ وانزعج بهذه المقاطعة الغير متوقعة، فنهض رغماً عنه بدون شك هو يعتبر نفسه المسؤول عن غضب صديقه...

«صباح الخير روبرت! ماذا تفعل هنا؟».

«انا في منزلي، جون» اجابه روبرت بجفاف وهو يقترب منهما، رفع جون يده معتذراً، ولاحظت صوفي تياراً من الكره والعداء بين الرجلين.

«انا لم اتوقع رؤيتك، تفاجأت بكل بساطة».

نظرت صوفي الى روبرت خلسة، كان يرتدي بنطلوناً اسود وقميصاً حريرياً، كان يبدو اكثر جمالاً من قبل، قوة مثيرة تنبعث من كل كيانه، وعندما التقت نظراتهما، اخفضت الفتاة نظرها ولم تعد قادرة على تحمل بريق الغضب في هذه العيون الرمادية.

«كيف حالك صوفي؟» سألها بأدب، وكان هدوء صوته يتناقض مع قسوة ملامحه.

«انا... بخير، شكراً» اجابته متلعثمة وشعرت بالراحة عندما ابعد نظراته عنها والتفت نحو جون.

«وانت جون، ماذا تفعل هنا؟» سأله بجفاف.

«جئت لازور صوفي، واطمئن على صحتها وانقل اليها رسالة».

«آه حسناً؟ لم اكن اتخيلك قد اصبحت موزعاً للبريد!» اجابه روبرت بسخرية.

«وانا لم اكن اتخيلك بدور الأب المتسلط!».

لماذا يثير روبرت الشجار دائماً بوجودها؟ غضبت صوفي ونهضت وهي تحاول تمالك اعصابها.

«جون لم يرتكب شيئاً يلام عليه، روبرت ولا يحق لك ان تعاتبه بهذا الشكل، وليس من الجرم ان يأت للاطمئنان على صحتي! لماذا عدت انت الى المنزل، على كل حال؟ من الافضل لك ان تمضي اوقات فراغك في لندن، مع خطيبتك!».

كم كلفتها هذه الكلمات! ولكنها ادت الى المطلوب، لأن روبرت نظر اليهما نظرات قاتلة، وخرج على الفور دون ان يجيبها.

«حسناً!» قال جون بدهشة «يا لها من قصة!».

«انا آسفة» قالت صوفي ووقفت امام النافذة «انا لا افهم سبب تصرفاته».

«اما انا فبلى، انه غيور!».

«غيور؟ انت تمزح؟» سألته بدهشة.

«ابداً، وهذا لا يدهشني، منذ سنوات وانت اكبر معجبة

www.elromancia.com

بـه، لقـد جعلتـه إلهـاً، وهـو لا يتحمـل رؤيتـك تكبـرين وتصبحين ناضجة».

«أوه جون!».

«انهـا الحقيقة، هـذا يحد من تسلطه، انـه كـالجميع، اناني».

«ولكنني لست ملكاً له!».

«نعم، لقد بدأ يدرك ذلك، ويتعـذب كثيراً لأن خـطوبته تكبل يديه وتسلبه كل امكانية لبسط وتأكيد نفوذه عليك».

جـون على حق، بـدون شـك، ولكن هـذا لا يجعـل الموقف اقل احتداماً، للحـظة واحدة، وعنـدما تكلم جـون عن الغيـرة، لمع الأمـل من جديـد في رأسهـا... ولكنهـا مخطئة، روبرت لا يرغب بها لنفسه، كان يريد بكل بساطة ان يمنعها من ان تصبح ملكاً لرجل آخر بمجرد الانانية.

«سـاذهب الآن، هذا افضـل» قـال جـون «انـا لا ارغب برؤية سيمون، الآن ايضاً!».

«توقف عن المزاح!».

«حسناً، نلتقي مساء غد؟».

«ألا تزال ترغب بذلك؟».

«كـرجـل مهـدد من جهتين، سـاتسلح بمسـدس، فمن يدري...».

انفجرت صوفي ضاحكة.

«أوه جون، مزاجك المرح يريحني!».

«رفقتك تسرني، صوفي» تمتم بصوت مرتجف ثم ابتعد عنها.

«الى الغد في تمام الساعة السابعة».

«ساكون بانتظارك، الى اللقاء».

بعد خروجه، اعادت صوفي صينية القهوة الى المطبخ، وعادت مع لورا الى الصالون.

«اذاً؟» سألتها لورا بفارغ الصبر.

«أوه، لا شيء مهم... السيـدة تـاران متغيبـة لبضعـة ايام، هذا كل شيء».

«الم يكن بامكانها الاتصال هاتفياً؟».

«بلى، بالتأكيد ولكن بما انهـا كانت تتنـاول العشاء عنـد آل ميـرديت، كـان جـون لـطيفـاً بـان عـرض ان ينقـل لي رسالتها، بالمناسبة لقد دعاني لتناول العشاء غداً».

هذا الخبر فاجأ لورا.

«مع اننا انا ووالدك لم نخفي عنـه انزعـاجنا، في المـرة الاخيرة عندما كنت مريضة».

«هذه مشكلته هو».

«صـوفي!» صـرخت لـورا غـاضبـة «انت لـديـك حقـاً تصرفات مزعجة! منذ عودتـك للمنزل وانت كـأنك تجـدين لذة في زرع المشاكل واثارة الفوضى».

«اعذريني».

فضاق صدر لورا ذرعاً بها.

«يـا عزيـزتي، لا ارغب بالنقـاش معـك، ولكن... أوه روبرت هنا، هل رأيته؟».

«نعم».

«دخل وسلم على جون، اليس كذلك؟».

«يا لها من طريقة للترحيب...».

«لماذا تتكلمين بسخرية؟».

«انا متعبة يا امي، ساجلس قليلاً في الحديقة».

«اذا اردت» اجابتها لورا بحيرة «لقد تخطيت الاحداث، لم اعد افهم شيئاً!».

جلست صوفي على الكرسي الطويل في ظل الشجرة، وكان تعبها وضعفها يقلقها، لم تكن تشعر بأية قدرة، مواجهتها القصيرة مع روبرت ارهقتها...

كانت اشعة الشمس تتغلغل بين الاغصان وتداعب النسمات شعرها، فاغمضت عينيها لتتمتع بالهدوء والسكينة. وكانت السيدة فورست قد اشغلت المكنسة الكهربائية داخل المنزل، وبنفس الوقت ارتفعت اصوات في غرفة المكتب.

وبعد لحظات ارتفعت حدة النقاش، وعرفت صوت روبرت ووالدته، لكن دون ان تميز كلامهما، فاحست بقلق وذعر كبيرين، وتقلصت يداها على مقبضي مقعدها، وحاولت عبثاً ان تهدأ اعصابها.

لماذا يتناقش روبرت ووالدته بهذه الحدة؟ لقد اصبحا عدوانيين وعنيفين تقريباً...

وارتبكت عندما ساد صمت طويل، ثم انفجرت الاصوات من جديد وبشكل قوي، وفجأة رأتهما امام المنزل، ثم ركب روبرت سيارته وصفق بابها بعنف وانطلق بسرعة كبيرة.

جف حلقها وارتجفت كل اعضائها، فاغمضت عينيها

وحاولت ان تحبس دموعها، لقد رحل روبرت الى اين؟ والى متى؟.

اثناء تناول العشاء، ورغم تعكر مزاجها، لم تشر السيدة لورا الى مشاجرتها مع روبرت، على العكس، تكلمت عن زيارته بكل بساطة ولم تطل الكلام عن هذا الموضوع، لحسن الحظ كان سيمون قد قضى النهار في هيرفورد ولم يشك بشيء.

بالمقابل اظهرت لورا رفضها لدعوة جون ميرديت، وضم ابنها وزوجها انتقاداتهما الى استيائها.

«انا لا الومك تماماً لانك قبلت دعوته صوفي» قال الدكتور كمبل «كان يجب على جرن ان يتصرف بتعقل اكبر، بدل ان يحوم حول بنات العائلات المحترمات. كان يجب عليه هو ان يكون محترماً».

«لانني فقط وافقت؟» اجابته صوفي ودفعت صحنها جانباً.

«لا تكلمي والدك هكذا!» عاتبتها لورا.

«دعيها، لورا... صوفي لماذا تريدين الخروج مع هذا الرجل؟ لا ينقصك شبان في مثل سنك حولك!».

«نعم، وكلهم صغار! اجدهم مملين» اجابته بحزم.

«كان يجب انتظار ذلك، على ما اعتقد، لقد كنت دائماً برفقة روبرت وسيمون...».

«هذا ليس صحيحاً! لقد قضيت خمسة اعوام في المدرسة الداخلية، مع فتيات وصبيان من عمري» ثم نظرت نحو سيمون واضافت بعد ان اخفضت نظرها «جون

لطيف، مسلي و. . . ودود جداً».

عاد سيمون لمناقشة هذا الموضوع عندما خرجا الى الحديقة.

«لن يكون روبرت مسروراً، اذا اصريت على الخروج مع جون ميرديت».

«لا يهمني ذلك!».

«انت تكذبين صوفي» اكد لها بهدوء.

«فادارت له ظهرها بانزعاج وقالت «ساقبل عرض السيد تاران، لن ازعج احداً، الجميع سيرتاحون».

«لا تتفوهي بحماقات صوفي!» اعترض وهو يمسكها بهدوء من كتفيها «روبرت هو سبب كل مشاكلك، تعرفن ذلك موقفك من جون، شعورك نحو والديك، كل هذا بسببه. . . ولكن هربك ليس حلاً!».

«ماذا افعل اذاً؟ اعيش سجينة هنا؟».

«لا، بالتأكيد يجب ان تفكري بحياتك المستقبلية».

«هذا العمل مع السيدة تاران قد يفتح لي امكانيات مهمة».

«ماذا تقصدين؟ تتخلين عن دراستك كي تصبحي. . . مترجمة؟ صوفي انت ذكية وموهوبة. . . يجب ان تدخلي الى الجامعة».

«هذا العمل يعجبني كثيراً، سيمون انا مقتنعة».

«من المؤسف. . .».

«وانت؟ الست طموحاً؟ لماذا تكتفي بالعمل في كوونتث؟».

«انا لست مثلك ومثل روبرت، لم اكن ابداً لامعاً، اعرف دائماً حدودي وطاقاتي».

«انا ايضاً ادرك امكانياتي».

«انت خلقت للنجاح، انا متأكد من ذلك».

«نظرياً نعم، ولكن اذا لم ارد ذلك؟».

«ماذا تتمنين بالتحديد؟ اتدركين ذلك انت؟».

«في الماضي نعم» اعترفت بصوت منخفض.

فتأملها سيمون جيداً.

«روبرت، اليس كذلك؟».

وعندما لم تجبه ضرب الارض بقدمه بعصبية وقال «على كل حال، روبرت سيتزوج ايما، بوقت اقرب مما كنت تتوقعين، وهذا افضل بالنسبة لك».

«لقد اخذت قراري. . .».

«كان يجب ان تدركي خرافة اوهامك، الوالدان دائماً كانا معارضين لهذه القصة».

«علمت بذلك مؤخراً» ذكرته وارتعشت فجأة «على كل حال، هذا يلقنك درساً، لست ادري لماذا يحكمون عليك بطريقة مختلفة».

«آه، ولكني ساكون صبوراً حتى نهاية دراستك، لو اضطر الامر، تتبدل الامور كثيراً في غضون اربع أو خمس سنوات، ستكونين قد نضجت، ولن تتصرفي كمراهقة».

التفتت صوفي نحوه وارادت ان تكون جافة معه، هل تعرف السيدة لورا مشاعر ابنها؟ هل ستوافق على مشاريعه في الوقت المناسب؟».

«انا... قد التقي بشخص ما، في الجامعة... أو في اليونان، لماذا لا تشك بهذا الاحتمال؟ من وجهة نظرك هذا له اية اهمية».

«في انكلترا، ستبقين... لينة الجانب، ولن اخش فقدانك».

«أوه سيمون، لا يمكننا ان نفرض انفسنا هكذا في حياة الاخرين!».

«لقد وعدت المحترم ان التقيه اليوم، اتريدين المجيء معي؟».

رفضت صوفي، وظلت وحدها مغمضة العينين، ان ازدواجية افراد هذه العائلة تدهشها، روبرت، لورا، سيمون... كل منهم يحاول خداعها للوصول الى غاياته...

في مساء اليوم التالي، اصطحبها جون ميرديت للعشاء في مطعم فاخر، وكان من الطبيعي ان يلقيا بعدد من معارفه، ولم تكن صوفي مرتاحة لكونها اداة فضولهم، ولكن جون بلطفه استطاع ان يجعلها تنسى الكثير من الامور، كان يبدو سعيداً جداً برفقتها، ونظراته المعجبة رفع من معنوياتها. وكانت رغم استياء سكان منزلها. قد قضت وقتاً طويلاً في الاستعداد لهذه السهرة.

واختارت الثوب الثاني الذي اهدته لها الوالدة والذي يزيد من جمالها ورشاقتها.

بعد تناول العشاء، جلسا امام البار وتابعا ثرثرتهما، تحدثا عن المطالعة والسفر والسينما...

في الساعة العاشرة والنصف، رافقها جون الى المنزل واوقف سيارته امام سور الحديقة، ثم رافقها سيراً حتى الباب، كان المنزل خالياً لأن والديها وسيمون كانوا مدعوين للعشاء عند آل باج، ولم يكونوا قد عادوا بعد.

شكرته صوفي امام الباب بحرارة.

«لقد سررت بهذه السهرة كثيراً، جون انت حقاً لطيف جداً».

«لطيف!» سألها ضاحكاً «هذه الكلمة وحدها كافية لصد المعجبين بك! ساتذكر ذلك!».

«هيا، جون لا تغضب» وفتحت الباب بمفتاحها «حسناً، تصبح على خير».

«ألا يوجد احد في المنزل؟».

«لا، لكنهم لن يتأخروا بالعودة، فهم عند آل باج».

«ايمكنني البقاء معك قليلاً، اذا كنت ترغبين بذلك؟».

«انا... لا هذا لن يعجب اهلي».

«حسناً، تصبحين على خير صوفي» ثم انحنى فجأة ليطبع قبلة وداع على شفتيها، ارتعشت صوفي وانتفضت بشدة، لأنه في اللحظة، اضيء النور في المدخل.

«يبدو انهم عادوا!».

«هل انت متأكدة؟ لا يزال الوقت باكراً، افضل ان اطمئن بنفسي قبل ان اتركك وحدك».

«لماذا؟ انا لا ارى... أوه اعتقد بوجود لصوص!» وادارت قبضة الباب «بابا! ماما!».

وعندما لم يجبها احد، تقدمت الى الداخل بحذر.

«ابي، اهذا انت؟» قالت امام باب غرفة المكتب.

وعندما خرج منه روبرت، كادت تقع من شدة مفاجأتها.

«مساء الخير، صوفي» قال روبرت عابساً عندما رأى جون امام الباب مستعد للانقضاض في حال لزم الأمر.

ظل جون مسمراً مكانه للحظة دون ان يلفظ اية كلمة.

«بماذا تتسلى انت؟ اتقضي وقتك على الطرقات؟ اليست ايما معك هذه المرة؟».

ارتعشت صوفي عند سماعها هذا الاسم، لكن روبرت اكتفى بان هز رأسه بالنفي.

«انا وحدي... اين الوالدان؟». سأل روبرت.

«عند آل باج».

«هل ستذهب على الفور، ام انك تريد الجلوس قليلاً؟» سأل روبرت جون بسخرية.

«أأملك الخيار؟».

«هذا يتوقف على صوفي، افترض ذلك» وعاد الى غرفة المكتب وتركهما وحدهما.

«اذهب جون» قالت له صوفي بحزم «شكراً لك على هذه السهرة».

«الى اللقاء، صوفي».

اغلقت الباب وراءه، وشعرت ببعض الراحة، لأنه لو بقي لكان روبرت احدث فضيحة بالتأكيد، تنهدت ورمت حقيبة يدها على الكنبة ودخلت الى المطبخ لتشرب كوب ماء.

«هل رحل؟» سألها روبرت وهو يقف خلفها.

التفتت صوفي نحوه، وكان يستند على الباب ويراقبها بنظرات قاتلة.

«نعم... اتريد ان تشرب شيئاً؟» سألته بلطف.

«لا، اين كنت؟».

ارغمت صوفي نفسها على ابتلاع جرعة ماء قبل ان تجيبه، لا يجب ان ترتبك امام عبوسه... على كل حال، هي حرة وليست مضطرة لتبرير تحركاتها امامه.

«كنا نتناول العشاء في احد مطاعم هيرفورد».

«دعاك لهذه السهرة بالامس، اليس كذلك؟» سألها مهدداً.

«نعم، للحقيقة كنا سنتناول العشاء معاً منذ خمسة عشرة يوماً، لكن مرضي منعني من ذلك».

«آه حقاً؟ واين التقيت به؟».

«نحن... سيمون وانا ذهبنا الى حفلة، كان جون موجوداً فيها ايضاً، مع خطيبته، الم تخبرك ايما؟ كان اثناء اقامتها هنا».

تجاهل سؤالها، وسألها على الفور «ايعجبك؟».

رغماً عنها احست صوفي باحمرار وجهها.

«يا له من سؤال! طبعاً، انه لطيف جداً».

لكنها لم تتوقع ردة فعله، لانه اقترب منها فجأة، وهزها من كتفيها بشدة.

«اتشعرين نحوه بشيء؟ اريد ان اعرف بالتحديد».

«انا... انا... اجده لطيفاً، لا اكثر...» اجابته وهي ترتجف «انا احترمه».

«مثل سيمون؟» الح روبرت «ام مثلي انا؟».

«هذا لا يعنيك» وحاولت التخلص من قبضته.

لكنه سحب الكوب من يدها بسرعة ووضعه على الطاولة ثم ضمها اليه بعنف وحدق بعيونها.

«صوفي، انا لا اسألك هذا السؤال لمجرد الفضول، انا بحاجة لشيء مؤكد، هل نسيت الكلام الذي تبادلناه على ضفة النهر، منذ اسابيع قليلة؟».

ارتبكت صوفي واخذت تضربه على صدره وصرخت باكية «كيف تجرؤ على ذكر ذلك اليوم؟».

لكنه استمر بالتحديق بها، وكأنه يحاول ان يكشف عن السر الذي تدفنه في اعماق كيانها، وعندما تركها اخيراً، هز رأسه وصرخ.

«هذا كل ما اريد معرفته...».

فاستغلت هذه اللحظة وتراجعت للخلف وتوسلت اليه.

«ارجوك... روبرت اذهب، دعني بسلام، انا اجهل لماذا تضايقني، توقف عن تعذيبي، لو سمحت انا منهكة...».

رغم توسلاتها وانهيارها، اقترب منها مجدداً، ووضع يديه على الحائط حول وجهها ليمنعها من الهرب، ماذا يخفي خلف هذه الملامح؟ عيونه الرمادية تلمع ببريق غريب... واخذ يتأمل فريسته وكأنه يتلذذ برؤية الخوف في عيونها، ويتسلى بتأكده من سلطته عليها، لم تفهم صوفي شيئاً، لماذا يعاملها بعنف؟ هذا فظيع ولا يمكنها تحمله...

«روبرت لو سمحت، دعني».

لكنه انحنى واسند ساقيه على ساقيها برقة بالغة... كيف يمكن لصوفي ان تقاومه؟ كل كيانها يشتعل بحبه رغماً عنها، وعندما بدأ يقبل شفتيها ووجهها وعنقها... امسك يديها ووضعهما على كتفيه، وكأنه لم يعد يتحمل سلبيتها، فهو يرغب بها وبحاجة لحنانها وحبها... انهمرت دموع الفتاة، واستسلمت لعناقه، ونسيت فجأة كل حقدها عليه، فيما بعد قد تندم على لحظة الضعف هذه لكنها لا تريد ان تفكر بذلك الآن...

هدير سيارة والدها، اعادها الى الواقع، فاستعادت وعيها بسرعة، وركضت الى الصالون ورمت نفسها على الكنبة وتظاهرت بانها تقرأ، عندما دخلت الوالدة وجدتها غارقة في القراءة...

«مساء الخير، صوفي عدت منذ مدة طويلة؟».

«لا... كان روبرت هنا قبلي» اجابتها صوفي.

فظهر القلق على جبين لورا.

«روبرت؟ اين هو؟».

دخل والدها وسيمون بدورهما، وانتظرت صوفي قليلاً قبل ان تجيب.

«اعتقد انه في المطبخ» وشعرت بالخجل عندما ذكرت المشهد الذي دار بينهما، كيف امكنها ان تتصرف بقلة حذر هكذا؟ وهو، كيف تجرأ على السخرية هكذا من عواطفها، سيمون محق، روبرت وغد حقير. لم تكن ابداً تعتقد انه قادر على مثل هذا الخداع، يخون خطيبته بهذا

المكر والدهاء! ولكن قد لا يكون قادراً على مقاومة الصلة التي كانت تجمعهما منذ مدة طويلة اكثر؟ لقد كانا قريبين جداً... ولا جدوى من انكار هذه الرابطة الحميمة.

إلا انها رغم ذلك ارتكبت غلطة كبيرة بالسماح له بالتدخل بخصوصياتها، انه لا يملك حقاً عليها، ولو لم يصل اهلهما بهذه اللحظة بالذات، فمن يدري اذا كانت ستصمد امامه؟ هذه الفكرة كانت ترهقها...

«هل انت في المنزل منذ وقت طويل صوفي؟» سألها سيمون بقلق.

«منذ نصف ساعة تقريباً، لماذا؟».

«اتريدين شرب القهوة معنا يا ابنتي؟» سألها والدها.

«لا شكراً، ساصعد لانام تصبحون على خير».

وامام باب المطبخ، ترددت قليلاً عندما سمعت صوت روبرت ووالدته، لكنها حاولت ان تظهر طبيعية كي لا تثير شكوك الوالدة.

«تصبحين على خير، ماما».

وفي عيون روبرت كانت لا تزال نفس شعلة الرغبة القوية... عندما رأته، ارتبكت كثيراً وتسارعت دقات قلبها، كم رغبت في ان تركض وترمي نفسها بين ذراعيه! هذه الفكرة جعلت خديها يحمران، لحسن الحظ، لم تلاحظ لورا لم تنتبه لارتباكها. فاسرعت صوفي ودخلت غرفتها لتخفي انفعالاتها، وبينما هي تبدل ملابسها، تذكرت المشهد، دائماً كانت وهي تحلم تحاول ان تتخيل اية مشاعر يمكن لعناق روبرت ان يوقظها في كيانها،

ولكنها ابداً لم تتوقع مثل هذه المشاعر الغريبة في قوتها.

ولكن لم يكن يجب عليها ان تظهر رغبة بهذا الشكل الملتهب من اجل لحظة عابرة، وكأن شيئاً لم يكن... لا الخجل ولا الندم يمحوان ذكرى قبلاته الحارة، لا شيء يطفيء هذه النيران التي تلتهمها...

على كل حال، يجب ان تقر بالواقع، اصبح من الضروري ان تهرب من المنزل ومن وجود روبرت، وإلا فانه سيدمرها، كيف ستقاوم كل هذا الحب؟ اذا بقيت ستفقد كرامتها، وستستسلم له وتفقد كل أمل بالسعادة مع غيره، حبست دموعها التي تحرق عيونها، يجب باي ثمن ان تسيطر على انفعالاتها، البكاء لن يؤدي لشيء، لا يجب عليها ان تشق من اجل رجل اناني...

وعندما عادت من الحمام، وجدت روبرت واقفاً امام باب غرفته.

«اريد ان اكلمك، صوفي» قال لها بحزم.

«هل والدتك على علم» سألته وهي تراقب السلم.

«لا تبقي في الممر» اجابها بجفاف.

«لا ارغب بالنقاش، الوقت متأخر... انا متعبة...».

«كفى! ادخلي!» امرها وامسك ذراعها.

عندما اغلق باب غرفته، ابتعدت صوفي بحذر عنه.

«ماذا تريد مني؟» سألته بحدة.

«هذا يتوقف عليك انت... لقد فسخت خطوبتي، بايما مساء امس».

«ماذا؟» ولم تصدق اذنيها.

«لست بحاجة لشرح الاسباب لك، انت تعرفينها جيداً» اخذت صوفي ترتجف.

«افضل ان اسمعها من فمك» اجابته بضعف.

رفع روبرت نظره نحو السماء، ثم تأملها قليلاً قبل ان يقول بصوت ملؤه الحنان.

«انا احبك، صوفي احبك منذ زمن طويل».

«ولماذا هذا التغيير المفاجيء؟» صرخت رغماً عنها وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها.

«أوه، صوفي توقفي ارجوك!».

لكنها كانت تبدو على وشك الانهيار العصبي.

«حسناً» اضاف روبرت بهدوء «يحق لك ان تطلبي تفسيرات... والدك وامي لم يكونا ابداً راضيين عن حبنا، يجدان انني كبير بالنسبة لك، وهم على حق».

- ٧ -

حاولت صوفي ان تعترض لكنه قاطعها بحركة سريعة.

«لا، دعيني انهي كلامي، السن ليس هو العامل الوحيد نحن نعرف بعضنا جيداً، نحن الاثنان... انت لم تسنح لك الفرصة ابداً للخروج مع شبان، وانا استسلمت لمشيئتهما ولم احاول الاستئثار بك، منذ عامين، لم اسامح نفسي على ذلك الحادث بيننا في حفلة العيد، كنت صغيرة، وضعيفة... ولا تزالين ايضاً، فاحسست بالحاجة لأن اكلم والدينا، كي اريح ضميري، واثناء غيابك، نجحت في اقناع نفسي بخطئي، كنت اعتقد انني ساتمكن من نسيانك مع الوقت... ولكن بنفس الوقت كنت اتألم كثيراً!».

www.elromancia.com

«أوه، روبرت!» صرخت صوفي وتهيأت لأن ترمي نفسها بين ذراعيه لكنه منعها.

«وعندما كنت في المدرسة، كان عملي يسلبني كل وقتي، ولم اعد ابداً الى المنزل اثناء اجازاتك، و... ايما كانت هنا، اعترف واقر بانني استغليتها، ولكنها لم تشتك، ولم اتصرف ابداً رغم ارادتها».

«هل انت... كلمتها عني؟».

«مرة واحدة، عندما كنت يائساً، اعترفت لها بانني قبلتك، ثم حاولت ان اقلل من اهمية الحادث، لكنها ليست غبية، وفهمت الباقي».

«و... الآن؟».

«انا غير قادر على متابعة المسرحية، لست فخوراً ابداً من نفسي، اعترف بذلك، عندما حصلت على هذا المنصب في بلاد الغال، كنت قلقاً، كنت اخاف من رؤيتك من جديد، لم اكن واثقاً ابداً من نفسي...» ثم ضحك بمرارة واضاف «ذات مساء، شربت كثيراً كنت حقاً ثملاً، فعرضت الزواج على ايما، كنت يائساً... في اليوم الذي ذهبت لاصطحابك من المحطة، كان يجب ان اعلن لك عن خطوبتي، كنت مصمماً، لكن القدر لعب دوره، وافسدت تلك العاصفة اللعينة كل شيء...».

«ماذا احسست، فيما بعد؟» سألته بحرج.

«شعرت بالعار، بالتأكيد. والاسوأ من ذلك انهم منحوني اجازة!».

«قضيتها في لندن مع ايما».

«ذهبت لرؤيتها مرتين، لكنها كانت تعلم، فقمت ببعض التمارين مع جون محاولاً ان ارهق نفسي جسدياً كي اتمكن من النوم، لكن هذا لم ينجح، كنت افكر بك طوال الوقت... كما وانك كنت مضين كل وقتك مع سيمون، فالغيرة التهمتني! وفي اليوم الذي وجدتك فيه عند آل ميرديت، احسست حقاً انني مجرم! كنت ساخنق جون بكل لذة!».

«كان يشك بذلك» قالت صوفي مبتسمة.

«بالتأكيد، انا... اهملت نصائح والدي واصطحبتك الى كلوسستر، على كل حال، لم يعد بامكاني ان اتظاهر باللامبالاة نحوك، الحقيقة يجب ان تظهر، هذا لا يمكن تجنبه، وعندما عدنا...» واحنى رأسه بمرارة وتنهد «كنت اجهل وصول ايما، اقسم لك بذلك، كانت والدتي قد دعتها بدون علم مني... تلك الليلة، تشاجرنا بعنف».

«ورحلت في اليوم التالي باكراً».

«نعم، ذهبت الى لندن، وحبست نفسي في شقتي، كي اتمكن من التفكير بهدوء، حاولت ان اقبل باسباب والدي، التي لم تتغير، لكنها كانت تبدو لي سخيفة وغير مقنعة، ثم وقعت انت، مريضة، لم يخبرني احد، علمت صدفة عندما اتصلت هاتفياً عن طريق السيدة فورست مدبرة المنزل... وعندما عدت، وجدتك تشربين القهوة وتضحكين مع جون!».

«هو يقول انك عيور».

«طبعاً، جن جنوني وقررت ان انهي هذه الخدعة

فاخبرت والدتي بقراري بفسخ خطوبتي بايما».

«سمعت يومها صراخكما...».

«هذا لا يدهشني، كانت مصدومة، فرحت بسرعة ورأيت ايما بالامس».

كانت مفاجأة صوفي كبيرة، واخيراً بعد كل هذه الخيبة والعذاب، كل شيء سينتظم... هذا جميل جداً لو تحقق. يا لسعادتها! من المؤكد ان ايما لم تقبل بهذا الوضع بسهولة...

انتظر روبرت تعليقاتها، لكنها كانت عاجزة عن ايجاد الكلمات التي تعبر بها عن مشاعرها التي لا تزال متناقضة، فضمت يديها الى صدرها وابتسمت له بصمت وخجل.

«لا بد ان والدتي اخبرت والدك الآن، ولكن الكلمة الاولى والاخيرة لك انت، المستقبل يتوقف عليك انت فقط».

تقدمت صوفي خطوة منه.

«لقد عرض علي عمل... هل علمت؟».

«نعم، والدتي تجده عرضاً جيداً، وانت؟ ايعجبك العمل في اليونان».

كادت صوفي تنفجر ضاحكة، طبعاً لو تزوج ايما، لم تكن لتفقد شيئاً آخراً، ولكانت رحلت، ولكن الآن! لا مجال لذلك... على كل حال... هو لم يطلبها للزواج بعد...

«ماذا تقترح علي انت؟».

«لا تسخري مني، صوفي!».

«انا... لست ادري حقاً ماذا تريد بالتحديد» قالت بصوت مرتجف.

«ماذا؟» واقترب منها غاضباً ورماها على السرير.

«ألم اكن واضحاً كفاية؟» عنفها بوحشية وهو يشد شعرها بيده، ثم اطبق فمه بوحشية على فمها، ثم قبل عنقها وكتفيها.

«صوفي... اريدك!» همس باذنها، والتقت شفاههما بنفس الاندفاع، وذبلت صوفي تحت نار قبلته كالزهرة التي اذبلتها حرارة الشمس القوية، ولم يعد لأي شيء اهمية الآن سوى هذه اللحظة... ولم تعترض عندما بدأ يداعبها ويتحسس جسدها، كيف تقاوم قوة رغباته؟ على كل حال، الرغبة التي كانت هي ايضاً تشعر بها لم تكن اقل من رغبته ابداً، ولكن فجأة، بدا عليه الخوف، وتراجع وكأنه احس بمسؤولية كبيرة.

«لا، صوفي... ليس هنا، ليس هكذا يجب علينا ان نتكلم...».

احست الفتاة وكأنه صب عليها ماءً بارداً، فجلست ورتبت قميص نومها، لحسن الحظ، بهذه اللحظة بالذات، سمعا دقات على الباب ودخل الدكتور كمبل وزوجته على الفور.

بلحظة واحدة، فهما المشهد، لأن وجه صوفي كان ينوهج من شدة الاحمرار، ووضعهما جالسين على السرير... كل هذا كان يدل على ما كانا يفعلانه، نهضت صوفي وقالت بخوف.

www.elromancia.com

«لا تقلقا! روبرت لم يتعدى عليّ».

«روبرت!» بدأ الدكتور بالكلام «والدتك اخبرتني الآن بفسخ خطوبتك مع ايما، الآن اريد ان اعرف نواياك ما هي؟».

«الم تخبرك والدتي؟».

تنهد الدكتور بضيق وانزعاج.

«بلى، تريد ان تتزوج صوفي، اهذا صحيح؟».

اشرق وجه صوفي والتفتت نحو روبرت الذي ابتسم لها بحب ثم التفت نحو والده.

«هذا صحيح».

«هل سبق ان طلبت يدها؟».

«ليس بعد...».

«اذاً لا تفعل».

«ابي!».

لكن الدكتور كمبل تجاهل اعتراض ابنته، واضاف «لا يمكنك ان تتزوج من صوفي، روبرت من واجبك ان لا تفسخ خطوبتك بايما، انا لم اقل شيئاً حتى الآن لانها طلبت مني الحفاظ على السر. لكنها على وشك التأكد من حملها.

كانت ڤيلا السيدة هاربت تاران في كارفو باليونان قريبة جداً من المطار، ويقع على تلة قليلة الارتفاع، وهو محاط بحديقة واسعة وتعبق باريج الازهار المنوعة، ومياه الحوض تتلألأ تحت الشمس وتغري بالاستحمام باكراً او في ساعات الظهر عندما تكون الشمس حامية، وتطل الڤيلا

على شاطىء البحر.

قضت صوفي ايامها الاولى في الاعتياد بهدوء على محيطها الجديد. وتعرفت على نانا وسبير ومساعدي هاربت، واستعلمت عن مهمتهما.

لأول مرة، قضى والداها وسيمون اجازاتهما بدونها في برتاين، فيكي باج لن تشتكي بالتأكيد... اما روبرت... وايما؟ حاولت صوفي ان لا تفكر بذلك كثيراً، لكن هذا صعب جداً فهي تتساءل ماذا جرى بعد رحيلها منذ اسبوعين، وكان الجميع قد امضوا ثمانية ايام صعبة في جو متوتر بعد ذلك المشهد الذي حصل في غرفة روبرت، وكان روبرت رفض اي نقاش حول ابوته لطفل ايما.

اما الدكتور كمبل، فقد دمر بجملة واحدة كل احلامها وآلامها واصبحت ايما في وضع اقوى مع هذا الجنين الذي في بطنها، وعاجلاً ام آجلاً سيضطر روبرت للعودة اليها...

والوضع ازداد سوءاً عندما شك روبرت بتأكيدات الدكتور كمبل، وللحظة اعتقدت صوفي انه سيضرب والدها لشدة غضبه، ثم التفت نحوها وسألها غاضباً اذا كانت تصدق كلام والدها، كان يجب ان تثق به... فالدكتور كمبل قد يكذب ويخادع من اجل التفريق بينهما، وعندما حاولت ان تشرح ذلك لروبرت، صب جام غضبه عليها ورحل بسيارته، الله يعلم الى اين.

وفي صباح اليوم التالي، عاد شاحباً، وجهز حقيبته، وعاد الى موقع عمله وعند عودته في نهاية الاسبوع التالي،

كانت صوفي تستعد للسفر الى اليونان مع السيدة هاربت.

لم يكن عمل صوفي متعباً، وكانت تقضي وقت فراغها بالتنزه في الريف والسباحة، اما في الليل، فكانت تبكي حتى يغلبها النعاس، وكانت السيدة هاربت قد استلطفتها، وتقضي معها اوقاتاً طويلة في الشرفة. وروت لها حياتها وزواجها من مهندس يعمل في المناجم، لكن صوفي لم تكن قد باحت لها بهمومها، واكتفت بان روت لها وضعها العائلي باختصار، لكن السيدة هاربت كانت دقيقة الملاحظة وادركت ان هذه الفتاة تمر بازمة عاطفية صعبة.

في نهاية الاسبوع الثاني، وصلت رسالة من لورا، عندما قرأتها صوفي، شحب وجهها ولاحظت السيدة هاربت مدى قلقها، فنهضت من خلف مكتبها واحاطت كتفي الفتاة المنهارة بذراعها.

«ماذا هنالك، صوفي؟ انت شاحبة جداً اجلسي».

«لا... لا شيء، سيدة تاران ولكن... شقيقي بالتبني... في المستشفى».

«ايمكنني قراءة الرسالة؟».

ناولتها صوفي الرسالة، فقرأتها السيدة هاربت بسرعة، ولم تكن لورا قد راعت رقة مشاعر ابنتها... فروبرت تعرض لحادث في ورشة كيمتريت، واصيب بجروح خطيرة في رأسه ووجهه، ولديه بعض الاضلاع مكسورة...

«أوه، صوفي!» صرخت هاربت بحزن «هذا فظيع! انت بدون شك تريدين العودة الى انكلترا لرؤيته؟».

«لا».

«لا؟ ولكن...».

«ربروت ليس بحاجة لي، اقرأي الرسالة للآخر، ايما خطيبته في المنزل، وانا لا اريد الذهاب الى هناك».

«أوه صوفي، انا لا اصدقك... كنت اعتقد انك متعلقة جداً بعائلتك».

«طبعاً... انا قلقة جداً على روبرت، ولكن... لن يمكنني ان افعل له شيئاً...».

«سيكون والداك مسرورين برؤيتك الى جانبهما، وكذلك روبرت...».

«لا! لا، لا، لا...» وسدت اذنيها «ارجوك، لا تطرحي علي اسئلة...» واجهشت بالبكاء.

تركتها هاربت تبكي قليلاً ثم مسحت دموعها بمنديلها.

«منذ متى وانت مغرمة به؟» سألتها بهدوء.

احست صوفي بفرحة كبيرة عندما استمعت السيدة هاربت لقصتها باهتمام كبير.

«هذه... ايما عادت اذاً الى المنزل؟ وانت تعتقدين انهما عادا لخطوبتهما؟».

«بقوة الظروف».

«ولكن حتى ولو كانت ايما حاملاً، ولو كان روبرت هو الوالد الحقيقي لابنها، فلا يوجد اي قانون يجبره على الزواج منها».

«لكنه... واجب اخلاقي!».

«كثيراً من الرجال لا يفعلون ذلك».

«لكن روبرت يحترم الشرف...».

«حقاً؟ اذاً لماذا رفض مسؤولياته؟ لماذا لا يعترف بأبوته لطفلها؟».

«لست ادري» اجابتها صوفي بعصبية ونهضت على الفور.

«اذاً هناك احتمالات اخرى».

«من سيكون الوالد؟».

«قد لا يكون هناك وجود للجنين حتى».

جف حلق صوفي واخذت ترتعش.

«لكن والدي طبيب، وكان سيعلم».

«هل فحصها؟».

«لا اعتقد ذلك».

«اذاً يجب الحذر من كلامها».

«ولكن لا يمكنها ان تتجرأ على اختراع مثل هذه الكذبة!».

«قد تكون ايما قامت بمجازفة مدروسة جيداً، هل كانت عشيقة روبرت؟».

«كانا يعيشان معاً».

«من قال لك ذلك؟ هي؟».

«نعم و... روبرت اعترف لي بانه استغلها».

«هذا يفرض عدة احتمالات، ألا تعتقدين ذلك؟ واذا لم تكن ايما حاملاً، لاظهرت تحفظاً، انها مخادعة جداً في اعترافها لوالدك بحملها، إلا اذا كان هو الذي يسعى للتقريب بينها وبين روبرت.. واذا كنت محقة، فانك ارتكبت غلطة كبيرة عندما رفضت الاقتناع بكلام روبرت».

«والآن... هذا الحادث... يا إلهي ارغب برؤيته من كل قلبي! قد تكون جروحه خطيرة جداً».

«لم يكن يجب على لورا ان تكون بهذه القسوة وتكتب لك كل ذلك... القرار يعود لك، يا ابنتي، لكنني انصحك بالسفر، تناقشي مع ايما، قد تكون حقاً حاملاً منه... واذا كانت صادقة في حبه، فقد تتمكنين من مسامحته... لو لم يكن يحبك، لكان تزوجها على ما اعتقد».

«لست ادري بماذا افكر...» وخبأت وجهها بيديها.

«فكري بروبرت، قد يكون بخطر، كيف تتصرفين لو بقي مشلولاً او فقد نظره؟».

«لا! لا!» صرخت صوفي.

«اهذا يخيفك؟».

«لا... انا لست خائفة على نفسي، ولكن عليه، لن تتغير مشاعري نحوه مهما اصابه».

«اذهبي لرؤيته، صوفي مع انني سافقد افضل مساعدة لي...».

«اذا... سارت الامور بشكل سيء، ايمكنني العودة؟».

«انه سؤال سخيف، صوفي انت تعرفين جيداً...».

بعد ثلاثة ايام، وصلت صوفي الى هيرفورد، وكان سيمون بانتظارها في المطار، وفي السيارة تجنب طرح اي سؤال عليها، فشعرت بالراحة بوجوده وبلطفه، لكنها تجاهلت كبريائها وسألته بخجل.

«كيف حاله؟ هل هو بخطر؟ كيف حصل ذلك؟».

«حصل ذلك في الورشة نتيجة للاهمال، لقد نسي روبرت الحذر وكاد يموت على الفور».

«يا إلهي، الم يكن قد لاحظ الخطر؟».

«اخشى ان يكون فعل ذلك عمداً، وخاصة في مثل هذه الظروف...».

«أوه، سيمون! وجروحه؟».

«اصيب بكسر في الجمجمة وبجرح عميق في وجهه... انا احذرك، وجهه في حالة تعيسة».

اغمضت صوفي عينيها، بينما اضاف سيمون بصوت خال من اية احاسيس.

«لقد سقط من ارتفاع ستة امتار، بعض اضلاعه مكسورة، وساقه وفخذه مصابان».

«متى حصل ذلك؟».

«منذ اسبوع».

«ولكن لماذا لم ترسل لي والدتي برقية؟».

«امي انفعلت بشكل سيء، وهي تضع كل اللوم عليك انت...».

«انا؟» صرخت صوفي «بالفعل... انها ليست مخطئة».

«ايما في المنزل، لأن روبرت رفض رؤيتها في مستشفى كرنرفون، فاقترح عليها والدي ان تقيم معنا في المنزل».

«سيمون، ايمكنك ان تقلني الآن الى المستشفى؟».

«هذا المساء، لا طبعاً».

«اذاً، صباح غد؟».

«هذا يتوقف على رأي والدك، كان يريد ان يبرق لك كي لا تأتي، لكنني اقنعته...».

«شكراً سيمون».

«ولكن... لست ادري اذا كان سيسمح لك برؤية روبرت».

«ولكن يجب ذلك».

«لماذا؟ لم يتغير شيء، ايما حامل، تأكد حملها منذ اسبوعين».

«وروبرت؟ ألا يزال ينكر أبوته لهذا الطفل؟».

«انه يرفض رؤيتها رفضاً تاماً».

«ولكن... لماذا؟».

«صوفي، انا اعتقد انك انت السبب في هذا الحادث، فبعد رحيلك الى اليونان اصبح روبرت مجنوناً وتعذب وتألم كثيراً، فاراد ان ينتحر، هذا محتمل».

«سيمون!».

«والآن، فقد الشجاعة على مواجهة الحياة مجدداً، بالاضافة الى التشويه في وجهه...».

«ماذا كان بامكاني ان افعل، سيمون؟ عارض والدانا ارتباطنا بشدة، انت نفسك قلت لي ذلك ايضاً».

«نعم، اعلم كنت اتصرف بأنانية». وتنهد بعمق «ادركت مدى ذنبي ايضاً في هذه القصة...».

رغم تعبها ومظهرها القلق، قبلها والدها واستقبلها بالترحيب.

«انا سعيد برؤيتك صوفي، كنت اريد ان امنعك من المجيء... لكنني اشتقت اليك كثيراً...».

نهضت ايما وابتسمت لها بسخرية.

«انا سعيدة برؤيتك من جديد بيننا، صوفي بالطبع، كنت افضل ان راك بظروف اقل مأساوية... ولكننا للأسف لا نختار الظروف...».

«اتريدين ان تأكلي شيئاً، يا ابنتي؟» سألها والدها عندما رمت نفسها على الكنبة من شدة ارهاقها «ام تفضلين ان اعد لك القهوة؟».

«اجلس، يا ابي سافعلها بنفسي» وكانت ترغب بالهرب من هذا الموقف، لكن راحتها لم تطل...

«ايمكنني مساعدتك؟» سألتها ايما بمكر وبدأت تضع الفناجين على الصينية.

«شكراً لك».

«هل اعلن لك سيمون عن الخبر السعيد؟».

هذا المشهد كان يجب ان يحصل عاجلاً ام آجلاً، لكن صوفي كانت ترغب بتأجيله قدر الامكان...

«ماذا اذاً؟» سألتها بهدوء.

«انا انتظر طفلاً، واقترحت السيدة لورا ان نقرب موعد الزواج، لكن حادث روبرت أخّرنا... ستكونين عمة طفلي، اعتقد ان هذا سيسعدك؟».

«انت تستعجلين الاحداث» قالت لها صوفي بحدة.

«الافضل ان تنتظري شفاء روبرت... على كل حال هو يرفض رؤيتك، اليس كذلك؟».

«ليس انا فقط، انه يرفض رؤية الجميع» اجابتها ايما بجفاف.

«ساذهب غداً لرؤيته».

«ستكونين آخر من يدخل غرفته» اجابتها ايما بسخرية.

«انه يضع اللوم عليك، انت المسؤولة عن كل هذا... كما وان والديك لن يسمحا لك بالاقتراب منه من جديد... لقد تسببت له بالكثير... قبل عودتك الى المنزل، كنا كلنا سعداء وفور وصولك بدأت الامور تسوء في المنزل، حاولت ان تدمري حبنا بكل الوسائل».

«هذا ليس صحيحاً، ابداً» صرخت صوفي بحدة.

«انت تغارين من سعادتنا، لانك لن تعرفي ابداً سعادة مثلها».

تمالكت صوفي اعصابها وحملت صينية القهوة ودخلت الى الصالون، يجب ان تكلم والدها، لكن من الافضل ان تنتظر حتى تكون وحدها معه.

وبعد ان شربوا القهوة، وعندما اقترحت ايما ان تغسل الفناجين، انسحب سيمون فاقتربت صوفي، وجلست على ذراع كنبة والدها، وبدأت بالموضوع مباشرة.

«ابي، اريد الذهاب الى كرنرفون لزيارة روبرت».

«اعلم، لكنني لست موافقاً».

«لماذا؟».

«ماذا تأملين من هذه الزيارة؟».

«انا احب روبرت، يا ابي و... هو يحبني ايضاً».

«صوفي، كوني متعقلة، روبرت مرتبط بايما...».

«واذا لم تكن حقاً حاملاً؟».

«صوفي، لماذا تكذب ايما عليّ؟».

«اتصدقها؟».

«ما معنى هذه التساؤلات؟».

«ابي، من المؤكد انها فهمت انه لا يحبها، فادعت انها حامل منه».

«توقفي عن الحماقات! لا اريد ان اسمع كلمة بهذا الموضوع، فهمت؟».

«اتسمح لي برؤيته؟».

«لا اريد ان امنعك، لكنه لن يستقبلك...».

«اذاً استطيع الذهاب؟».

«الى اين؟».

انتفضت صوفي عندما سمعت صوت ايما.

«صوفي تريد زيارة روبرت» قال والدها بانزعاج.

«متى؟» سألته ايما محاولة اخفاء امتعاضها.

«غداً صباحاً» اجابتها صوفي بتحدٍ سيرافقني سيمون».

«في هذه الحالة، سارافقكما» قالت ايما وهي واثقة جداً من نفسها».

عندما وصلوا الى المستشفى، التقوا بالسيدة لورا في المدخل، وهي لم تخفي حقدها على صوفي، بينما استقبلت ايما بحرارة.

«كيف حاله؟» سألتها صوفي بلهفة.

«انه يستعيد قواه» اجابت لورا وهي تنظر الى سيمون «لقد كلمته بعد ظهر امس، لكنه متضايق من جروح

وجهه».

«صوفي ترغب برؤيته» قال سيمون.

«لن يسمحوا لها برؤيته، على كل حال، هي لا تمت اليه باية قرابة» اجابته لورا بلؤم.

ارتعشت صوفي، لكن سيمون امسك يدها وقادها نحو المصعد «انا اعرف الطريق» ونظر الى والدته بغضب.

«انتظر سيمون» صرخت ايما «ساذهب معكما».

«روبرت وحده يقرر من يريد ان يستقبل».

وكان روبرت قد نقل من غرفة العناية الفائقة، واصبح في غرفته الآن، لكن السيدة مالوري رئيسة الممرضات منعتهم من زيارته.

«بعد ظهر امس، بعد رحيلك، سيدة لورا طلب مني ان لا اسمح لاحد بدخول غرفته، وجعلني اقسم على ذلك انا آسفة، لكن اطمئني، ولدك يتحسن، سنرفع الجفصين عن ساقيه بعد اسبوعين، اما بالنسبة لجروح خده، فانه عندما سيشفى، سيخضع للأشعة التي ستزيل اثار هذه الجروح».

«لو سمحت» قالت لها صوفي بعصبية «ايمكنك ان تسألي... روبرت اذا كانت يرغب برؤيتي؟».

«كيف تجرؤين صوفي؟» سألتها لورا غاضبة «ألا تشعرين بالخجل ولا بالشفقة؟ لولاك لما حصل له كل هذا!».

«انه نائم الآن، يا آنسة، ولكن عندما يستقيظ ساخبره بمجيئك».

اصطحب سيمون ايما للبقاء مع والدته في الفندق بينما

عاد هو وصوفي الى المستشفى دون ان يخبرها.

ولاحظت صوفي كم تغير وكم يحاول مساعدتها، وعندما عادا الى الطابق الرابع حيث يوجد روبرت، كانت السيدة ايفنز قد حلت مكان السيدة مالوري، ومنعتها ايضاً من زيارته.

«اخبريه برغبتي بزيارته لو سمحت».

وبعد ان توسلت اليها دخلت الممرضة وسألت روبرت فسمح لها بالدخول، وكانت الضمادات تخفي يديه ونصف وجهه وساقيه.

«لست ادري لماذ جئت الى هنا، صوفي» قال لها بجفاف «انا لم اطلب رؤيتك».

«لكنني اردت ان اراك!».

«لماذا؟ انا لم امت، وكان يجب ان توفري على نفسك كل هذا العناء».

«روبرت، تصور مدى قلقي عندما قرأت رسالة والدتك».

«لا بد انك شعرت بالاشمئزاز».

«ماذا تقصد؟».

«لم يعد منظري جميلاً، اليس كذلك؟».

«أوه، لا يهمني ذلك، روبرت...».

«انا لا اصدقك، على كل حال، لست مجبرة على تحمل هذا المنظر!».

«توقف عن هذا الكلام روبرت!».

«انها الحقيقة، انت تعملين الآن في اليونان، ثم

ستدخلين الجامعة، بينما انا ساذهب بمهمة الى كندا اذا لم يطردني صاحب الشركة بسبب تشوه وجهي».

«الى كندا؟ ستذهب ايما معك؟».

«لا» اجابها غاضباً «انا لا انوي الزواج منها، والآن اذا لم يكن لديك شيء آخر لتقوليه...».

«أوه، روبرت... ولكن... اذا كانت حاملاً...» فنظر اليها بمرارة واتهام.

«اذهبي، صوفي لا جدوى من متابعة هذا النقاش».

«روبرت... آخر مرة... في المنزل... في غرفتك... قلت انك تريد ان تطلبني للزواج...».

«لا اريد الكلام بهذا الموضوع».

«ارجوك روبرت! اريد الزواج منك اذا كنت لا تزال ترغب بي».

«هل اصبحت مجنونة؟» صرخ بحدة «انت صدقت ايما عندما ادعت انها تنتظر طفلاً مني... حتى الآن لم يشك احداً بكلامها!».

«حاول ان تفهم، روبرت والدي...».

«لكنه لا يحكم افكارك، لقد صدقتها ولم تصدقيني، ان عدم ثقتك بي، حطمت جزءاً من نفسي، دعيني وحدي، الآن لا اريد رؤيتك ولا سماع اي شيء عنك، اخرجي...».

عادت صوفي الى سيمون وهي تترنح من شدة الصدمة. فتأثر قليلاً وضمها اليه بحنان وفتح لها باب السيارة.

وباللحظة التي انطلق بها، كانت لورا وايما تتجهان

نحوه، فتعثرت ايما وسقطت على الارض واصطدم رأسها بحافة الرصيف واغمي عليها.

«أوه، اين انا؟ ماذا حصل لي؟» سألت ايما السيدة لورا.

«لقد تعثرت، لا تقلقي لقد ارسلت سيمون ليحضر مساعدة».

«لا، لا» اعترضت ايما «لا ضرورة لذلك، انا بخير».

«من الافضل ان يراك احد الاطباء، لن اطمئن إلا اذا...».

عاد سيمون برفقة ممرضين يحملان حمالة ونقلوا ايما الى داخل المستشفى.

«هل لاحظت عصبيتها؟» سألت صوفي سيمون.

«نعم، هذا غريب، ولكن قد تكون تخاف ان تجهض طفلها...».

«هذا اذا كانت حقاً حامل...».

«ماذا تقولان انتما الاثنان؟» قالت لورا غاضبة «لا مجال للشك بكلامها، عوارض الحمل ظاهرة...».

بهذه اللحظات خرج الطبيب، وقال انه من الافضل ان تبق ايما في المستشفى هذه الليلة.

«لماذا؟» سألته لورا مذعورة ابسبب الجنين؟».

«اي جنين؟ الآنسة نورتون ليست حاملاً».

«هل انت متأكد» سألته لورا بصعوبة.

«كل التأكيد، سيدتي».

«ولكن لماذا يجب عليها البقاء في المستشفى؟» سأله

سيمون.

«لانها كانت متوترة جداً، فاضطررنا لاعطائها حقنة منومة».

امسك سيمون صوفي ووالدته كل واحدة من ذراعها.

«جميعاً بحاجة لليلة هادئة، اليس كذلك يا امي؟ في المنزل طبعاً».

كانت صوفي تجلس في حديقة الڤيلا في اليونان، وكانت منذ عودتها منذ شهر تقريباً، قد فقدت خمسة كيلوغرامات من وزنها، وكانت السيدة هاربت لطيفة جداً معها، وراعت ظروفها النفسية، وحاولت تشجيعها على تخطي هذه المرحة، ومنذ ايام سافرت الى لندن وتركت لصوفي اعمالاً كثيرة.

انتفضت صوفي عندما سمعت هدير سيارة قرب الڤيلا، فاسرعت لاستقبال السيدة هاربت وهي فرحة بعودتها اخيراً. لكنها تجمدت مكانها لشدة دهشتها عندما رأت والدها ينزل من السيارة مع السيدة هاربت.

«ابي!... يا إلهي، ماذا حصل؟ هل حصل مكروه لروبرت؟».

«لا، لا، لا... اطمئني انه بخير» وضمها الى صدره وقبلها.

دعتهما السيدة هاربت الى الصالون، وتجاهلت نظرات الاستفهام بعيون صوفي.

«انا دعوته» قالت هاربت «والدك يريد ان يكلمك».

«عن ماذا؟» سألته بقلق.

«انا ولورا. . . اخطأنا كثيراً يا صوفي، لم يكن يجب علينا ان نمنعكما عن التعبير عن عواطفكما انت وروبرت. . .».

«ماذا؟» صرخت بيأس «ولكن فات الأوان على كل حال».

«لم يفت الأوان طالما اننا نعترف باخطائنا، صوفي».

«احياناً، نعم! روبرت. . .».

«طلب رؤيتك، بعد رحيلك».

«لقد انتهى كل شيء الآن، يا ابي، ولكن لماذا كلفت نفسك كل عناء السفر هذا؟ الكي تريح ضميرك؟».

«لا، صوفي السيدة هاربت زارتنا في المنزل وروت لروبرت كل الحقيقة، ولكن بما انه كان لا يزال بحاجة لاشراف طبيب، رافقته في هذا السفر الطويل».

«ماذا؟» وقفز قلبها من صدرها.

«انت. . . ماذا تقول؟ روبرت هنا، في كورفو؟».

«انه ينزل في الفندق» قال لها هاربت «وهو ينتظرك طبعاً اذا كنت تريدين رؤيته».

«بلى، بالتأكيد! انا لا اطلب شيئاً آخر» صرخت وانهمرت الدموع على وجهها.

«لقد اقنعته بذلك» قالت هاربت «لكنه متأثر من جروح وجهه ويخاف من الظهور بهذا الشكل».

«خذيني اليه فوراً، ارجوك لا يمكنني الانتظار دقيقة اخرى».

امام باب الفندق تركتها هاربت وقالت لها.

«تذكري ان والديكما يحبانكما، حتى ولو شككتما بذلك احياناً».

جمعت صوفي كل شجاعتها ودقت على باب غرفته، وكان قد خرج لتوه من الحمام، يرتدي روب الحمام، وقد رفع الجفصين والضمادات عن رأسه ويديه وساقيه، ولكن جرحاً يظهر بوضوح في خديه.

«مساء الخير، روبرت انا. . . هل ازعجك؟» قالت له متلعثمة.

ظل روبرت يتأملها للحظة كالمذهول، ثم ابتعد وافسح لها مجالاً للدخول. كانت ملابسه مبعثرة على السرير، وحقيبته مفتوحة على الارض.

«كيف حالك، روبرت؟».

«افضل بكثير» اجابها وهو يلمس جرحه «لكنني لا ازال بشعاً. . .».

«لا اهمية لذلك، المهم انك شفيت».

«وانت؟ تبدين شاحبة وقد نحفت كثيراً».

«لأنني عملت كثيراً هذه الفترة».

«حقاً؟ وانا سارحل الى كندا بعد شهرين».

«اتريد ان تكلمني؟» قالت له بعصبية.

«نعم، بالنسبة لموضوع ايما. . .».

«لا ضرورة لذلك».

«بلى. . . لقد كذبت عليك كثيراً، نحن لم نكن نعيش معاً في لندن، كانت تعيش مع صديقين لها».

«ليس لكل هذا اية اهمية. . .».

«بلى . . . كما وانني لم اقم اية علاقة جسدية معها».

«ماذا؟».

«كنت دائماً ارفض اغراءاتها، لم احبها يوماً، كنت انت دائماً تلاحقينني، ولذلك لم يكن من الممكن ان تكون حاملاً مني، ولكن عندما صدقت انت اكاذيبها . . . تعذبت كثيراً صوفي، كانت تريد ان تفرق بيننا مهما كلف الامر . . .».

ثم اقترب منها وضمها بين ذراعيه ودس وجهه في شعرها.

«صوفي، كدت اجن . . .».

«أوه، روبرت . . . لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً».

فجذبها الى السرير واخذ يداعبها ويقبلها بشوق وحرارة اية سعادة في ان تشعر اخيراً به بعد كل هذا العذاب!.

«أوه، صوفي . . . انا ايضاً حلمت طويلاً بهذا اللقاء . . .».

«لن نفترق ابداً بعد اليوم، اليس كذلك؟».

«هل ستتحملين رؤية وجهي المشوه كل صباح؟ قد يكون من الافضل ان تذهبي الى الجامعة، كما يتمنى والدك، واثناء غيابك، ساخضع لعملية التجميل . . .».

«وهل ستجبرني على الابتعاد عنك؟» اعترضت صوفي.

«صوفي، يا حبيبتي» وابتسم بحنان «امنيتي الوحيدة ان ابق بجانبك الى الابد، انا احبك، احبك».

«لكنك في المستشفى طردتني».

«صوفي . . . كنت غاضباً، تعيساً . . . فقدت عقلي

عندما رحلت الى اليونان، كدت ارتكب عملاً فظيعاً لأنك وافقت مع والدك . . .».

«كدت تقتل نفسك؟» سألته واخذت ترتجف.

«نعم، الحادث حصل بارادتي، فيما بعد، فهمت كم كان من السخيف ان اقتل نفسي، زيارتك لي في المستشفى زادت من غضبي، لم افهم عندها لماذا اخترت هذه اللحظات كي تقبلي الزواج مني، مع انك كنت لا تزالين تصدقين ايما . . . ولكنني فكرت كثيراً، وطلبت رؤيتك . . . وعندما علمت انك عدت في اليوم التالي الى اليونان، فقدت كل أمل».

«أوه، روبرت . . . الحمد لله، بفضل السيدة هاربت، انت هنا . . .» ثم عقدت حاجبيها وسألته.

«ولكن ماذا قالت لك عني؟».

«انها تركتك منهارة، وانت تتعذبين بسبب حبك لي . . .».

«ايمكنني مرافقتك الى كندا؟».

«اذا تزوجنا اولاً» وضمها بين ذراعيه من جديد.

«قد لا توافق والدتك . . .».

«ستعتاد على هذه الفكرة، وانا متأكد انها ستكون سعيدة بالاهتمام باحفادها . . .».